الإعجاز العلمى في السنة النبوية

الجزء الأول

الدكتور

زغلول النجار

أستاذ علم الأرض وزميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم



الإعجاز العلمي في السنة النبوية

الجزء الأول

د. زغلول النجار

أستاذ علوم الأرض وزميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم
رئيس لجنة الإعجاز العلمي فى القرآن الكريم
بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
جمهورية مصر العربية

طبعة منقحة ومزيدة



العنوان: الإعجاز العلمي فى السنة النبوية «الجزء الأول».
المؤلف: د. زغلول النجار .
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم .
تاريخ النشر: الطبعة السابعة ابريل 2005م .
رقم الإيداع: 2004/ 11045
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-2847-0

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434(02)-(02) 3472864 فاكس: 3462576 (02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكترونى للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى الفجالة - القاهرة - ص . ب 96 الفجالة - القاهرة.
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجانى: 08002226222
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: sales @nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5230569 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونثنى عليه الخير كله ، ونصلى ونسلم على أنبياء الله ورسله أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ونخص منهم بأفضل الصلاة وأزكى التسليم خاتمهم أجمعين سيدنا محمد النبى الأمين ، الذى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين ، فنسأل الله (تعالى) أن يجزيه خير ما جازى به نبيّا عن أمته ، ورسولاً على حسن أداء رسالته ، وأن يؤتيه الوسيلة والفضيلة ، وأن يبعثه المقام المحمود الذى وعده ، إن ربى لا يخلف الميعاد . . . آمين . .

وبعد

فمن أسس الإسلام العظيم : العقيدة الصحيحة ، والعبادة السليمة ، وحسن الخلق وحسن المعاملة . والعقيدة الصحيحة قوامها الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الأخر ، وهذه القضايا تقع كلها فى إطار الغيب المطلق ، الذى يحتاج الإنسان فيه إلى بيان من الله ، بيان ربانى خالص ، لا يداخله أدنى قدر من التصورات البشرية ، وكذلك العبادة ؛ لأن المفهوم اللغوى للعبادة هو قمة الخضوع لله (تعالى) بالطاعة ولا توجد طاعة بغير أوامر فإذا لم يتلقَّ الإنسان من ربه أوامر تعلمه كيف يعبد

خالقه العظيم ، فإن الابتداع لا يجديه لأن العبادة أمور توقيفية على الله (تعالى) وعلى رسوله ﷺ ، فلابد فيها من الاتباع حيث لا يجدى أى ابتداع على الإطلاق ، وكل من دساتير الأخلاق وفقه المعاملات هى ضوابط للسلوك ، والإنسان كان عاجزا دوما عند وضع ضوابط صحيحة لسلوكه من عند ذاته ، والإيمان بالله يقتضى التسليم له (سبحانه) بالألوهية ، والربوبية ، والوحدانية (بغير شريك ، ولا شبيه ، ولا منازع) وهو التوحيد الخالص ، وفى ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى) :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائكَةُ وَأُولُوا الْعِلْم قائما بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (ال عمران : ١٨)

والإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ورسله يقتضى التسليم بوحدة الدين وهى حقيقة يقررها ربنا (تبارك وتعالى) بقوله :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ . (آل عمران : ١٩)

وقوله (عز من قائل) : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٨٥)

والإسلام العظيم علمه ربنا (سبحانه وتعالى) لأبينا آدم (عليه السلام) لحظة خلقه ، وعلم آدم بنيه ، وعاش الإنسان بهذا الهدى

الربانى سعيدا ، محققا رسالته فى هذه الحياة : عبدا لله «الواحد الأحد» ، يعبد ربه (تعالى) بما أمر ، ويجتهد فى حسن القيام بواجبات الاستخلاف فى الأرض وعمارتها ، وإقامة عدل الله فيها ، حتى يلقى الله (تعالى) وهو راضٍ عنه . .!

ولكن الإنسان فى طبيعته ميل إلى النسيان ، وفى نفسه صراع بين الحق والباطل ، وهو معرض لوساوس الشيطان ، والإغواء المستمر بالخروج على منهج الله ، ومع النسيان ، والصراع ، والإغواء تفقد المجتمعات الإنسانية بالتدريج نور الهداية الربانية ممثلة فى الدين الذى شرعه الله (تعالى) لعباده ، وهو الإسلام ، وبفقدان الدين ، أو تحريفه وتبديله تفقد تلك المجتمعات الإنسانية رسالتها فى الحياة ، وبفقدانها تفقد سعادتها ، وتهبط إلى دياجير من الظلام والظلم الذى يشقيها ، ويتعسها ، فتشقى وتشقى الأرض من حولها . .!

ويظل الحال كذلك حتى يَمُنَّ الله (تعالى) على البشرية برسول جديد يأتى بنفس الرسالة ، ومن نفس المصدر ، يَدْعوهم إلى الإسلام من جديد ، فتقبله طائفة من الناس ويرفضه الكثيرون ، وظل الحال كذلك والإنسانية بين استقامة على منهج الله وانحراف عنه ، فى مد وجزر حتى مَنَّ الله (تعالى) عليها بالنبى الخاتم والرسول الخاتم ﷺ ، ومعه الرسالة الخاتمة «الإسلام فى كماله وتمامه» ، وهى الرسالة الوحيدة من كل رسالات السماء التى تعهد الله (تبارك اسمه) بحفظها فحفظت بنفس اللغة التى أوحيت بها «اللغة العربية» ، وحفظت بتفاصيلها الدقيقة كلمة

كلمة ، وحرفا حرفا على مدى أربعة عشر قرنا أو يزيد ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك تحقيقا للوعد الإلهى الذى قطعه ربنا (سبحانه) على ذاته العلية فقال (عز من قائل) :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر : ٩) .

هذا فى الوقت الذى تعرضت فيه جميع صور الوحى السابقة إما للضياع التام أو لقدر من التحريف الذى أخرجها عن إطارها الربانى ، وجعلها عاجزة عن هداية أصحابها . .!

ويخبرنا الرسول الخاتم والنبى الخاتم ﷺ بأن الله (تعالى) قد مَنَّ على البشرية بمائة وعشرين ألف نبى ، وأن الله (سبحانه وتعالى) قد اصطفى من هذا الجمع الغفير من الأنبياء ثلاثمائة وبضعة عشر رسولا* ، لا يوجد أثر لرسالاتهم اليوم إلا ما بقى من رسالة موسى (عليه السلام) ، وقد تعرض إلى قدر من التحريف الشديد على أيدى أحبار اليهود ، وتكفى فى ذلك الإشارة إلى أن هذه الأخبار المجموعة فيما يطلق عليه اليوم اسم «العهد القديم» لم تدون إلا بعد وفاة موسى (عليه السلام) بأكثر من ثمانية قرون ، وأنه قد أضيف إليها العديد من الأسفار المنحولة ، والقصص المكذوبة ليشتروا بها ثمنا قليلا كما وصفهم القرآن الكريم ، بقول الحق (تبارك وتعالى) :

* روى الإمام أحمد عن أبى ذر الغفارى (رضي الله عنه) أنه قال : قلت يا رسول الله ، أى الأنبياء كان أول؟ قال ﷺ : آدم ، قلت يارسول الله : ونبى كان؟ قال : «نعم نبى مكلم ؛ قلت : يارسول الله : كم المرسلون؟ قال : ثلاثمائة وبضعة عشر جمّا غفيرا» ؛ وفى رواية أبى أمامة قال أبو ذر : قلت : يارسول الله ، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال : مائة ألف وعشرون ألفا ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّا غفيرا» (رواه أحمد) .

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾. (البقرة :٧٩)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾ .(البقرة :١٥٩)

وكذلك ما بقى من آثار نبى الله عيسى (عليه السلام) والتى كُتبت بعد رفعه بأكثر من قرن من الزمان ، وبأيدى أناس عديدين من المجهولين ، وفى أماكن متفرقة من الأرض ، وفى أزمنة متباعدة ، وأنها لا تزال تُعدَّل إلى يومنا هذا ، بين حذف وإضافة ، وتغيير وتبديل ، وترجمات متعارضة ، ومراجعات متعددة ، وانحراف واضح . .!

وتَعَهُّدُ ربنا (تبارك وتعالى) بحفظ رسالته الخاتمة مردُّه إلى العدل الإلهى ، الذى يقتضى ألا يُعذِّب عبد من عباده بغير إنذار كافٍ وفى ذلك يقول (عز من قائل) :

﴿ . . . وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء : ١٥)

ولما كان سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولما كانت رسالته ﷺ قد تكاملت فيها كل رسالات السماء السابقة ، فختمت برسالته كل الرسالات ، وببعثته جميع النبوات ، وانقطع وحى السماء ، كان لا بد من حفظ هذه الرسالة الخاتمة وإلا ما تحقق وعد الله ألا يعذب إلا بإنذار ، وبإرسال رسول ، وببقاء رسالة سيدنا

محمد ﷺ محفوظة حفظا كاملا بحفظ الله فكأنه ﷺ لا يزال قائما بيننا بشيرًا ونذيرًا . .!

ورسالات السماء هى هداية من الله (تعالى) للإنسان فى القضايا التى لا يستطيع الإنسان أن يضع لنفسه فيها تصورات وضوابط صحيحة لوقوعها فى دائرة الغيب المطلق الذى لا سبيل للإنسان فى الوصول إليه إلا عن طريق وحى السماء ، أو فى دائرة ضوابط السلوك التى يعجز الإنسان دومًا عن وضع ضوابط صحيحة لنفسه فيها ، وذلك من مثل قضايا العقيدة «وهى غيب مطلق» ، والعبادة «وهى أوامر إلهية مطلقة» ، والأخلاق والمعاملات «وكلاهما ضوابط للسلوك» ، وهذه كلها من القضايا التى إذا خاض فيها الإنسان بغير هداية ربانية خالصة فإنه يضل ضلالاً بعيدًا .

والذى يتأمل هذه القضايا فى كتاب الله ، وفى سنة رسوله ﷺ يجدها واضحة الدلالة على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق ، وأن النبى الخاتم والرسول الخاتم ﷺ كان موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قبل خالق السماوات والأرض .

وهذا التسلسل المنطقى لا يمكن لعقل سوىّ أن يرفضه ، ولكن الله (تعالى) يعلم «بعلمه المحيط بكل شىء» أن الإنسان سيصل فى يوم من الأيام إلى مرحلة كالتى نعيشها اليوم ، يتجمع له فيها من المعارف بالكون ، ومكوناته ، وظواهره ، وسننه ، ما لم يتوافر لجيل من الأجيال من قبل ، فينبهر باكتشافاته العلمية ، وتطبيقاته التقنية انبهارًا يغمسه فى أمور الدنيا إلى آذانه ، ويصرفه عن أمور الدين ،

وركائزه ، أو يشغله عنها حتى يتجاهلها ، أو ينكرها بالكامل ، كما هو حادث فى غالبية المجتمعات غير المسلمة التى ركبها الزهو والغرور ، بإنجازاتها العلمية والتقنية ، ولذلك أبقى ربنا الحكيم الخبير (سبحانه وتعالى) فى محكم كتابه ، وفى سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ من حقائق الكون ووصف عدد من ظواهره وسننه ؛ ما يقيم على إنسان اليوم الحجة البالغة بالمنطق العلمى - الذى يتباهى به ، أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذى يجب ألا يعبد سواه ، وأن هذا النبى الخاتم والرسول الخاتم ﷺ الذى تلقى القرآن الكريم كان موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قبل خالق السماوات والأرض ، وهذا وحده ، وبدون أدنى شك لمما يحرك القلوب الواعية ، والنفوس السوية والعقول المنصفة إلى قبول دين الله الذى لا يرتضى ربنا (تبارك وتعالى) من عباده دينًا سواه ، فيعود الناس - وفى مقدمتهم أهل العلوم البحتة والتطبيقية - مرة أخرى إلى الله ، مسلمين بحقائق الغيب التى بدأت الحضارة المادية المعاصرة بإنكارها ، وانتهت بحوثها العلمية إلى إقرارها والتسليم بصدقها . .!

وعلى ذلك فإن من الأسرار المكنونة فى كتاب الله (القرآن الكريم) ، وفى سنة خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ تلك الإشارات الكثيرة إلى الكون وإلى عدد من مكوناته ، وظواهره ، وسننه ، والتى جاءت فى أكثر من ألف آية صريحة من آيات القرآن الكريم ، وفى العديد من أقوال المصطفى ﷺ والتى نسلم بأنها لم تأت لنا من قبيل الإخبار العلمى المباشر ؛ لأن الكسب العلمى قد ترك لاجتهاد الإنسان جيلاً بعد جيل ، ولذلك فقد جاءت الآيات

الإشارات الكونية كلها فى مقام الاستدلال على طلاقة القدرة الإلهية المبدعة فى الخلق ، وفى التأكيد على أن الذى أبدع هذا الخلق قادر على إفنائه ، وعلى إعادة خلقه من جديد ، وقد كانت قضايا الخلق والبعث ـ ولا تزال ـ معضلة العقول القاصرة ، والقلوب الغافلة ، وحجتهم فى إنكار الخالق وجحوده (سبحانه وتعالى) ، وفى رفض ما أنزل من الدِّين . .!!

ونسلم أيضا بأن هذه الإشارات القرآنية والنبوية الشريفة إلى الكون ومكوناته وظواهره جاءت فى مقام تنبيه المسلمين إلى أهمية التعرف على خلق الله ، واستقراء سننه فى الكون ، وتوظيفها فى عمارة الأرض ، وفى حسن القيام بواجبات الاستخلاف فيها ، ومع هذا التسليم والإقرار تبقى الإشارات الكونية فى كتاب الله ، وفى سنة رسوله ﷺ بيانًا من الله الخالق ، ووحيًا أوحاه إلى خاتم أنبيائه ورسله فلابد وأن تكون حقّا مطلقًا ، ولو أن علماء المسلمين اهتموا بتحقيق تلك الإشارات تحقيقًا علميّا دقيقًا لسبقوا غيرهم من الأمم فى الوصول إلى العديد من حقائق الكون ، ولو أنهم اهتموا بتحقيقها ، وبتقديمها إلى الناس فى عصر العلم والتقنية الذى نعيشه لكانت من أنجح وسائل الدعوة إلى الله ، باللغة التى يفهمها أهل عصرنا ، أى : إلى هذا الدين الخاتم الذى بعث به هذا النبى الخاتم ﷺ والذى لا يرتضى ربنا (تبارك وتعالى) من عباده دينًا سواه . . وذلك لأن فى تلك الإشارات الكونية تثبيتًا للمؤمنين على إيمانهم ، وهداية للضالين التائهين من الكفار والمشركين ، وما أكثرهم فى زماننا ، وما أخطرهم على مجتمعاتنا بل على

المجتمعات الإنسانية بأسرها فى زمن التحديات الذى تعيشه أمتنا الإسلامية ، وزمن الضياع الذى يعيشه إنسان اليوم . . .!

ومصادر الدين الإسلامى هى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة التى عنيت بشرح قواعد الدين كما أنزلت فى كتاب الله ، وتطبيقها تطبيقًا عمليًا فى واقع الناس ، وتفصيلها وتثبيتها ، ومن هنا كانت العناية بالسنة ضرورة من ضرورات الدين ، ولازمة من لوازمه ، وكان الاسترشاد بأحكامها فى كثير من الأمور التى أجملها القرآن الكريم من العوامل المساعدة فى تفسير هذا الكتاب العظيم ، ولذلك حرص علماء الإسلام على جمع السنة النبوية ، وتمحيصها تمحيصًا دقيقًا ، وتبويبها ، وشرحها ، وصيانتها ، وحفظها بمختلف وسائل الحفظ كمصدر هام من مصادر هذا الدين الخاتم .

وقد اعتنى كل من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة أساسًا بركائز الدين من العقيدة ، والعبادة ، والأخلاق ، والمعاملات ، وهى من الدين فى الصميم ، وكل ركيزة من هذه الركائز إذا درست بشىء من الموضوعية والحيدة فإنها تثبت لكل ذى بصيرة أن كلاً من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، معجز فى بيانه ، ونظمه ، معجز فى تشريعه وعلمه ، وفى خطابه للنفس الإنسانية وفى قدرته على تربيتها ، معجز فى تفاصيل العقيدة التى يدعو إليها ، والعبادة التى يأمر بها ، والأخلاق التى يؤكد عليها ، والمعاملات التى يحدد دساتيرها ، كما أن كلاً منهما معجز فى سرده لقصص بعض الأمم السابقة ، والأحداث الغابرة ، وفى تنبؤاته بالعديد من الأمور المستقبلية التى تحقق بعضها بالفعل ، وكل ذلك يشهد للقرآن

الكريم بأنه لايمكن أن يكون صناعة بشرية ، بل هو كلام الله الخالق ، كما يشهد للنبى الخاتم ﷺ بالنبوة وبالرسالة ، وبأنه لا ينطق عن الهوى وقصص الأمم السابقة فى كل من القرآن الكريم ، وأقوال النبى الخاتم ﷺ مما يؤكد على هذه الحقيقة ، وتأتى الإشارات الكونية داعمة لهذا التأكيد بأسلوب العصر ولغته .

ونحن فى استعراضنا للآيات الكونية الواردة فى كل من كتاب الله ، وأحاديث رسوله ﷺ نحتاج إلى فهمها فهمًا دقيقًا فى إطار اللغة العربية ، ودلالات ألفاظها ، وأساليب التعبير فيها ، وفى أضواء أسباب النزول أو سياق الحديث النبوى الشريف وأسباب وروده ، وفى أنوار النصوص القرآنية والنبوية الأخرى ، وفى إطار المبادئ العامة والمقاصد الكلية للإسلام ، بالإضافة إلى توظيف كل قطعى وثابت من المعارف العلمية فى المجال الذى تتحدث عنه الآية القرآنية أو يشير إليه الحديث النبوى الشريف .

هذا بالإضافة إلى أن إبراز السبق القرآنى أو النبوى بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وأسراره وظواهره وسننه ، هذا السبق لكل المعارف الإنسانية بعدد متطاول من القرون ، مع دقة علمية فى التعبير ، وشمول وإحاطة فى الدلالة ، وإيجاز يعتبر ضربًا من الإعجاز ، مما يجعل من تلك الإشارات الكونية وسيلة من أفضل وسائل الدعوة إلى الله فى زمن التقدم العلمى والتقنى الذى نعيشه ، والذى يتعرض فيه الإسلام والمسلمون إلى هجمات عديدة همجية كافرة شرسة ، مدعومة بكل وسائل التفوق المادى ، ولكنها تفتقر إلى أبسط القواعد الأخلاقية والسلوكية الصحيحة . .!

وليس أدل على ذلك من الجرائم البشعة التى تقوم بها يوميًا العصابات الصهيونية المحتلة لأرض فلسطين من قتل للأطفال والنساء والشيوخ والشبان ، وهدم للمنازل والمساجد والمدارس والمستشفيات ، وتجريف للأراضى الزراعية ، وتعذيب لا إنسانى لعشرات الآلاف من المعتقلين ، وتدمير للبنية الأساسية لفلسطين . وليس أدل على ذلك أيضًا من فضائح كل من القوات الأمريكية والبريطانية المحتلة لأرض العراق وأفغانستان وجرائمهم اللاأخلاقية واللاإنسانية التى تدل على حرمانهم من أبسط ضوابط الدين أو الأخلاق أو حتى السلوك الإنسانى .

فمنذ أن انتهت الحروب الصليبية بهزيمة جيوش الغرب المعتدية على أرض فلسطين ، واندحارها أمام جحافل الجيش الإسلامى انصب تفكير الغربيين على الانتقام من المسلمين بمحاولة تشويه الدين الإسلامى تحت مظلة دراسته ونقده ، وفى هذا الجو الملىء بالكراهية ، والتعصب الأعمى ضد الإسلام وأهله ظهرت مدارس الاستشراق التى كرست جهدها فى دراسة الإسلام ، والحضارة الإسلامية ، وتاريخ ، وعادات ، وسلوكيات المسلمين من أجل إيجاد ثغرات للهجوم عليهم منها ، وطبيعى أن تأتى هذه الدراسات فى غالبيتها بنتائج أبعد ما تكون عن الإنصاف ، وعن الموضوعية ، وعن الحيدة العلمية ، وتأتى أعمال المستشرقين غالبًا وهى مشوبة بكثير من مشاعر الكراهية ، ونزعات الغرور والاستعلاء . .! وفى هذه الحروب الاستشراقية حاول المستشرقون التهجم على القرآن الكريم ، وعندما فشلوا فى ذلك ،

وارتدت أسلحتهم إلى صدورهم ، وجهوا سهامهم إلى السنة النبوية المطهرة فى حملة تشكيكية منظمة ، كانت دعواهم فيها أن السنة لم تدون على عهد رسول الله ﷺ لنهيه (صلوات الله وسلامه عليه) عن ذلك خشية على القرآن الكريم حتى لا يختلط شىء من السنة بتدوينه* كما حدث مع أغلب الرسالات السابقة من خلط بين كلام الله وكلام البشر .

وهؤلاء النفر من شياطين المستشرقين يعلمون جيدًا أن السنة النبوية الشريفة هى المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى ، وهى الصلة الوثيقة بين أجيال الأمة الإسلامية من جهة ، وبين رسولها الخاتم ﷺ من جهة أخرى وهو إمام الأنبياء والمرسلين (رضى الله تبارك وتعالى عنه وعنهم أجمعين) ، وأن قطع هذه الصلة بالتشكيك فى سنة هذا الرسول الخاتم والنبى الخاتم ﷺ تمثل تشكيكًا فى الإسلام ، وهدمًا لركن أساسى من أركانه . .!

وعلى الرغم من وضوح الهدف من وراء هذه الهجمة الاستشراقية المغرضة ـ والمتسترة زورًا برداء البحث العلمى لتخفى كمّا هائلاً من الكراهية والحقد ، والتعصب للباطل ضد الحق والداعية ـ زورًا وبهتانًا وبغير أدنى دليل مادى ـ إلى التشكيك فى حجية السنة النبوية الشريفة ، وفى مصداقية رواتها ، وجامعيها ، وشراحها ، وأغلبهم من كرام الصحابة والتابعين ، وتابعى التابعين ومن بعدهم ، أملاً فى إغراء المسلمين بالإعراض عن سنة نبيهم كوسيلة من وسائل هدم هذا الدين الخاتم . . فإن نفرًا من أبناء

* عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : «لاتكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه . . .» . (صحيح مسلم) .

المسلمين قد انساق وراء هذه الصيحات الشيطانية المنكرة ، والمؤامرات الحاقدة الماكرة ، فنادى بأن الدين جاء فى القرآن الكريم لأنه متواتر ، وفى السنة العملية لأنها من حيث العمل بها فى تواصل أصبحت تحقق صفة التواتر ، أما عن السنة القولية فلا يلزم العمل بها . . وفى هذا الادعاء الباطل افتراء على رسول الله ﷺ وعلى سنته ، ومعارضة صريحة لمقولته الشريفة :

« . . . فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضُّوا عليها بالنواجذ . . » (الترمذى ، وأبو داود ، وأحمد ، وابن ماجه) .

وقوله : «ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه . . .» (مسند أحمد) .

ومخالفة صريحة لأوامر الله (تبارك وتعالى) التى يقول فيها (عز من قائل) : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الحشر : ٧)

وردًا لهذه الدعوة الباطلة المشبوهة اخترت فى هذا الكتيب عددًا محدودا من أحاديث رسول الله ﷺ ، التى أشارت إلى بعض أشياء الكون وظواهره موضحًا صحة ما جاء فيها من حقائق كونية ، ودقة تعبيرية وصياغة علمية سلسة ، وسبق بيِّن بالإشارة إلى تلك الحقائق أو الظواهر والسنن التى لم تصل إلى إدراك الإنسان إلا منذ عقود قليلة ، وقد تكلم بها المصطفى ﷺ من قبل أربعة عشر قرنًا ، وهذا السبق يؤكد جانبًا من جوانب

الإعجاز فى أحاديثه ﷺ هو الإعجاز العلمى الذى لم يسبق أن لقى اهتمامًا كافيًا من علماء الحديث، ولا من المشتغلين بجوانب الإعجاز العلمى فى كتاب الله .

وهذا الجانب ـ ألا وهو جانب الإعجاز العلمى ـ هو واحد من جوانب الإعجاز العديدة فى أحاديث رسول الله ﷺ ، وهو وحده يكفى لدحض دعاوى المبطلين، وتشكيك المشككين فى صدق رواة الحديث، ودقة جامعيها، والدعوة إلى إسقاط حجيتها، مع تسليمنا بأن هناك من الأحاديث الضعيف، والغريب، والموضوع، والمضطرب، والشاذ، والمردود، والمتروك، والمعل، والمنكر وغيرها من الأحاديث التى لا يؤخذ بها، والتى قام علماء الحديث بغربلتها غربلة دقيقة فى تصنيفهم لها بصورة من التحقيق لم تتوافر لعلم من العلوم .

وعلماء الحديث ـ بصفة عامة ـ وعلماء الجرح والتعديل ـ بصفة خاصة ـ قد أعطوا علم الحديث من جهدهم ما أغنانا عن الخوض فى كلام دسه أعداء الإسلام على رسول الله ﷺ زورًا وبهتانًا، وكان علم الحديث مدرسة تعلم منها الغرب معنى التوثيق العلمى الصحيح .

وكانت الأحايث النبوية الشريفة الثلاثون التى جمعتها هنا قد نشرت بإيجاز تباعًا طوال شهر رمضان عام (١٤٢٢هـ) على صفحات جريدة الأهرام فى كل يوم حديث .

وطلب منى عدد كبير من الزملاء والإخوان والأبناء الذين تابعوها على صفحات الأهرام جمعها لإمكانية الاستفادة

المستدامة بها إن شاء الله ، ونزولاً على رغباتهم جمعت هذه الأحاديث بسندها فى هذا الكتيب الذى أسأل الله (تعالى) أن ينفع به ، وأن يعيننى على مزيد من خدمة كتابه وسنة رسوله ﷺ فى مجال العلوم الكونية التى أفاء علىَّ فيها بشىء من العلم ، وأن يقدر لى ترجمة هذا الجهد إلى لغات أخرى ، وأن يعفو عن أى خطأ أو زلل فى هذا العمل المتواضع ، وألا يحرمنى أجره ، وأن يجعل ذلك الأجر فى ميزان الحسنات ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

(الشعراء : ٨٨ ، ٨٩) .

اللهم آمين آمين آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفقير إلى عفو ربه

زغلول راغب محمد النجار



الحديث الأول

الأرضون السبع

يروى عن رسول الله ﷺ أقواله :

(١) «من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين».

(٢) «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين».

(٣) «من أخذ من الأرض شيئًا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

(٤) «من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا فإنه يطوّقه يوم القيامة من سبع أرضين».

(٥) «من ظلم من الأرض شيئًا طوقه من سبع أرضين».

(٦) «من أخذ شيئًا من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

(١) «من ظلم قيد شبر طوّقه من سبع أرضين».

هذا الحديث الشريف أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب بدء الخلق قال :

● حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ المُبَارَكِ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الحَارِثِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ لَهَا ذَلِكَ فَقَالَتْ : يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبْ الأَرْضَ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» .

(وأخرجه أحمد فى مسنده) قال :

● حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا حَرْبٌ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ : يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنْ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»

(٢) «من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين».

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب (المظالم والغصب) ، وكتاب (بدء الخلق) قال :

● حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ عَنْ يَحْيَى ابْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ فَذَكَرَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَتْ : يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنْ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» .

ـ وأخرجه أيضًا مسلم فى صحيحه فى كتاب (المساقاة) قال :

● حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا حَرْبٌ وَهُوَ ابْنُ شَدَّادٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

قَوْمِهِ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ : يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضَ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» وحَدَّثَنِي إِسْحَقُ ابن مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلالٍ أَخْبَرَنَا أَبَانُ حَدَّثَنَا يَحْيَى أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ .

(٣) «من أخذ من الأرض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

هذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب (المظالم) والغصب قال :

● حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ المبَارَكِ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَنْ أَخَذَ مِنْ الأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ» .

وأخرجه أيضا أحمد فى مسنده قال :

● حَدَّثَنَا عَارِمٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا خُسِفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ» .

(٤) «من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين».

هذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب بدء الخلق) قال :

● حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أَنَّهُ خَاصَمَتْهُ أَرْوَى فِي حَقٍّ زَعَمَتْ أَنَّهُ انْتَقَصَهُ لَهَا إِلَى مَرْوَانَ فَقَالَ سَعِيدٌ : أَنَا أَنْتَقِصُ مِنْ حَقِّهَا شَيْئًا أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنْ الأَرْضِ ظُلْمًا فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**» .

وأخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب المساقاة .

● حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنْ الأَرْضِ ظُلْمًا فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» .

(٥) «من ظلم من الأرض شيئا طوقه من سبع أرضين»

هذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب المظالم والغصب) قال :

● حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»

وأخرجه أحمد فى مسنده قال :

● حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنِي الزُّبَيْدِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»

(٦) «من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

هذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه قال :

● حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّد قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَة ، عَنْ سَالِم ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِين» .

(البخارى : كتاب بدء الخلق)

● حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْراهِيمَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّه بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ سَالم عَنْ أَبِيهِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّه ﷺ : «مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّه خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ» . (البخارى : كتاب المظالم)

وهذه الأحاديث تنهى عن الظلم بصفة عامة ، وعن الظلم فى اغتصاب الأرض بصفة خاصة انطلاقًا من قول الحق (تبارك وتعالى) :

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ (إبراهيم : ٤٢ - ٤٧)

والآيات القرآنية الكريمة، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة فى النهى عن الظلم كثيرة، ولكن الأحاديث الخمسة المشار إليها هنا تركز على الظلم فى اغتصاب الأرض بغير حق وتشير إلى الأرضين السبع، وقد حار الناس فى فهم دلالة تلك الإشارة الكونية، وكثرت تساؤلاتهم :

هل الأرضون السبع هى سبعة كواكب منفصلة من مثل أرضنا؟ وهل هى من كواكب المجموعة الشمسية كما كان يظن إلى عهد قريب قبل أن يصل عدد المكتشف منها إلى أحد عشر كوكبا ؟ أم هى من كواكب نجوم أخرى فى مجرتنا؟ أم هى فى مجرات متفرقة؟ وإذا كان كذلك فأين هى؟ خاصة أن أعداد الكواكب

المشابهة لأرضنا فى الجزء المدرك من السماء الدنيا كثيرة ، وقد بدأت البحوث الفلكية فى اكتشاف أعداد منها على الرغم من صعوبة ذلك ، هل هى موزعة فى السماوات السبع على افتراض أن لكل أرض سماءها كما تخيل البعض؟ .

وهو افتراض ترفضه النصوص القرآنية التى تؤكد على أن النجوم (وبالتالى توابعها الكواكب) هى زينة السماء الدنيا وحدها .

أم هى سبعة نطق فى أرضنا التى نحيا عليها يغلف الخارج منها الداخل فيها ، وتتطابق حول مركز واحد؟

والأحاديث النبوية الشريفة المشار إليها هنا تؤيد التصور الأخير الذى أثبتته الدراسات الفيزيائية لتركيب الأرض الداخلى .

التركيب الداخلى للأرض : أثبتت دراسات فيزياء الأرض أنها تبُنى من سبعة نطق محددة من الداخل إلى الخارج على النحو التالى :

● **(لبّ الأرض الصلب)** : وهو عبارة عن نواة صلبة من الحديد (٩٠٪) ، والنيكل (٩٪) مع قليل من العناصر الخفيفة من مثل الكربون ، والفوسفور ، والكبريت ، والسيليكون ، والأوكسيجين (١٪) ، وهو تركيب قريب من تركيب النيازك الحديدية مع زيادة واضحة فى نسبة الحديد ، ويبلغ قطر هذه النواة حاليا حوالى (٢٤٠٢) كيلومتر ، وتقدر كثافتها فى المتوسط بحوالى ١٠ - ١٣,٥ جرام للسنتيمتر المكعب (وذلك لأن متوسط كثافة صخور القشرة الأرضية هو ٢,٧ - ٣ جرامات للسنتيمتر المكعب ، ومتوسط كثافة الأرض ككل هو ٥,٥ جرام للسنتيمتر المكعب) ، مما يشير إلى

حتمية وجود مواد ذات كثافة عالية فى قلب الأرض .

وتعتبر تلك النواة اللبية فى جوف الأرض على أنها هى الأرض السابعة .

● **نطاق لب الأرض السائل (الخارجى)** : وهو نطاق لدن أى : شبه سائل ، يحيط باللب الصلب ، وله نفس تركيبه الكيميائى تقريبًا ولكنه فى حالة شبه انصهار ، ويقدر سمكه بحوالى (٢٢٧٥) كيلومترًا ، ويفصله عن اللب الصلب منطقة انتقالية يبلغ سمكها (٤٥٠) كيلومترًا تعتبر الجزء الأسفل من هذا النطاق الذى يمثل الأرض السادسة . ويكون كل من اللب الصلب والسائل حوالى ٣١٪ من كتلة الأرض المقدرة بحوالى ستة آلاف مليون مليون مليون طن (٦ × ١٠^٢١ طن) .

● **النطاق الأسفل من وشاح الأرض (الوشاح السفلى)** : وهو نطاق صلب يحيط بلب الأرض السائل ، ويبلغ سمكه حوالى (٢٢١٥) كيلومترًا (من عمق ٦٧٠ كم إلى عمق ٢٨٨٥ كم) ، ويفصله عن الوشاح الأوسط (الذى يعلوه) مستوى انقطاع للموجات الاهتزازية الناتجة عن الزلازل ؛ ويعتبر هذا النطاق الأرض الخامسة .

● **النطاق الأوسط من وشاح الأرض (الوشاح الأوسط):**

وهو نطاق صلب يبلغ سمكه حوالى (٢٧٠) كيلومترًا ، ويحده من أعلى وأسفل مستويان من مستويات انقطاع الموجات الاهتزازية ، يقع أحدهما على عمق (٦٧٠) كيلومتراً (ويفصله عن الوشاح الأسفل) ، ويقع الآخر على عمق (٤٠٠) كيلومتر تحت سطح الأرض ، ويفصله عن الوشاح الأعلى ، ويمثل هذا النطاق الأرض الرابعة .

● **النطاق الأعلى من وشاح الأرض (الوشاح العلوى):**

وهو نطاق لدن ، شبه منْصهر ، عالى الكثافة واللزوجة ، تبلغ نسبة الانصهار فيه حوالى (١٪) ولذلك فإنه يعرف باسم نطاق الضعف الأرضى ، ويمتد بين عمق (٦٥ - ١٢٠) كيلومترا ، وعمق (٤٠٠) كيلومتر تحت سطح الأرض ، ولذلك يتراوح سمكه بين (٣٣٥) ، (٣٨٠) كيلومترًا ، ويعتبر هذا النطاق الأرض الثالثة .

● **النطاق السفلى من الغلاف الصخرى للأرض :**

ويتراوح سمكه بين (٤٠) ، (٦٠) كيلو مترا تحت البحار والمحيطات بين أعماق (٦٠ - ٨٠ كيلومترا) ، (١٢٠) كيلومترًا تحت سطح الأرض ، ويحده من أسفل الحد العلوى لنطاق الضعف الأرضى ، ومن أعلى خط انقطاع الموجات الاهتزازية المعروف باسم «الموهو» ، ويمثل هذا النطاق الأرض الثانية .

● **النطاق العلوى من الغلاف الصخرى للأرض (قشرة الأرض):**

ويتراوح سمكه بين (٥) ، (٨) كيلو مترات تحت قيعان البحار والمحيطات بين (٦٠) ، (٨٠) كيلومترًا فى المتوسط تحت القارات ، ويتكون غالبًا تحت القارات من الصخور الجرانيتية المغطاة بسمك رقيق من التتابعات الرسوبية والتربة ، ويغلب على تركيبها العناصر الخفيفة ، كما يتكون غالبا من الصخور القاعدية وفوق القاعدية وبعض الرسوبيات فى قيعان البحار والمحيطات ، وتعتبر قشرة الأرض هى الأرض الأولى .

هذا التفسير يتطابق مع أحاديث المصطفى ﷺ المذكورة هنا ،

خاصة حينما يذكر التعبير المعجز «خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين» مما يشير إلى تطابق تلك الأرضين حول مركز واحد. ويدعمه هذا الاستنتاج قول الحق (تبارك وتعالى) فى سورة إبراهيم عقب الآيات المحذرة من الظلم والتى أشرنا إليها فى الأسطر السابقة:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم: ٤٨)

وقوله (عز من قائل) فى ختام سورة الطلاق:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٢)

وقوله (سبحانه وتعالى) فى سورة الملك:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٣، ٤)

وطباقًا هنا معناها متطابقة حول مركز واحد، يغلف الخارج منها الداخل فيها، وليست طباقًا بمعنى طبقات بعضها فوق بعض بهيئة أفقية كما تصورها البعض من قبل، ورحم الله البقاعى الذى قال: «طباقا أى ذات طباق، بحيث يكون كل جزء منها مطابقًا للجزء من

الأخرى ، ولا يكون جزء منها خارجًا عن ذلك ، وهى لا تكون كذلك إلا أن تكون الأرض كرية ، والسماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة من جميع الجوانب ، والسماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا ، وهكذا إلى أن يكون العرش محيطًا بالكل ، والكرسى الذى هو أقربها بالنسبة إليه كحلقة فى فلاة ؛ فما ظنك بما تحته! وكل سماء من التى فوقها بهذه النسبة ، وقد قرر أهل الهيئة أنها كذلك ، وليس فى الشرع ما يخالفه ، بل ظاهره يوافقه» .

ويؤكد هذا الاستنتاج مقابلة السماء ـ على سعتها ـ بالأرض ـ على ضآلتها فى عشرات الآيات القرآنية ، والإشارة إلى فاصل بينهما فى عشرين آية قرآنية كريمة من مثل قول ربنا (تبارك وتعالى) : ﴿ **رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا . . .** ﴾ (مريم : ٦٥) .

ويؤكد استنتاجنا أن الأرضين السبع كلها فى أرضنا ، يغلف الخارج منها الداخل فيها ، وأنها محاطة بالسموات السبع إحاطة كاملة أيضًا أولها السماء الدنيا المحيطة بأرضنا ، ومن حولها ست سماوات يغلف الخارج منها كل ما تحتها ، يؤكد ذلك إشارة القرآن الكريم إلى تطابق أقطار السماوات ـ على ضخامتها ـ مع أقطار الأرض ـ على ضآلتها النسبية ـ وذلك فى قول ربنا (تبارك وتعالى) : ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ** ﴾ .

(الرحمن : ٣٣)

لأن قطر أى شكل هندسى هو الخط الواصل بين طرفيه مرورًا بمركزه ، فإذا انطبقت أقطار السماوات ـ على ضخامتها ـ مع أقطار الأرض ـ على ضآلتها النسبية ـ فلابد أن تكون الأرض فى مركز الكون وأن تكون الأرضون السبع كلها فى أرضنا وأن تكون محاطة بالسموات السبع .



الحديث الثانى

البحر المسجور

● « لاَ يَرْكَبُ الْبَحْرَ إلاَّ حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا » .

هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب الجهاد) قال :

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّا عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ بِشْرٍ أَبِى عَبْدِ اللَّهِ عَنْ بَشِيرِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ابن العاص قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لاَ يَرْكَبُ الْبَحْرَ إلاَّ حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ الله ، فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا » .

وكذلك أخرجه البيهقى فى سننه (الجزء الرابع) وأخرجه غيرهما مرفوعًا بلفظ «إن تحت البحر نارًا ، وتحت النار بحرًا» وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (الجزء الأول) موقوفًا على عبدالله بن عمرو بن العاص بلفظ : «إن تحت البحر نارًا ، ثم ماءً ثم نارًا» وذكر أن رجال إسناده ثقاة .

(وقيل فى الرواية المرفوعة السابقة إن إسنادها ضعيف ، ولكن الحاكم فى المستدرك (الجزء الرابع) أخرج له شاهدًا من حديث

يعلى بن أمية قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن البحر هو جهنم**» وقال : صحيح الإسناد ؛ ووافقه الإمام الذهبى فى «تلخيص المستدرك» على ذلك ؛ وعليه يكون الحديث بمجموع طرقه حسنًا على الأقل ، ومن ضَعَّفَه فقد نظر إلى طرقه الضعيفة وحدها نظرًا لصعوبة فهم دلالة الحديث

فقد ذكر ابن كثير فى البداية (الجزء الثانى طبعة دار هجر) معنى كون البحر جهنم : «**أن البحر يسجّر يوم القيامة ويكون من جملة جهنم**» .

وما أروع ما جاء فى كتاب «عون المعبود فى شرح سنن أبى داود» للعظيم أبادى (الجزء السابع) فى شرح معنى : «**إن تحت البحر نارًا**» قال : «قيل هو على ظاهره ، فإن الله على كل شىء قدير» .

وقال الخطابى فى «شرح سنن أبى داود» : «هو تفخيم الأمر بالبحر وتهويل من شأنه» .

وذكر ابن حجر شاهدًا لصدر هذا الحديث يقويه ويرقى به إلى مرتبة الحسن وذلك فى كتابه «التلخيص» (الجزء الثانى) من حديث لابن عمر (رضى الله عنهما) ، وبذلك يكون الحديث بمجموعه كله حسنًا ، على الرغم من عجيب ما فيه من معان علمية دقيقة لم يتوصل الإنسان إلى إدراك شىء منها إلا فى أواخر القرن العشرين .

والحديث الشريف الذى نحن بصدده يتفق بدقة بالغة مع القسم القرآنى الوارد فى مطلع سورة الطور ، والذى يقسم فيه ربنا تبارك وتعالى : - وهو الغنى عن القسم - بالبحر المسجور فيقول (عز من قائل) :

﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ (الطور : ١ - ٨)

ولم يستطع العرب فى وقت تنزل القرآن الكريم أن يستوعبوا دلالة القسم بالبحر المسجور ، لأن عندهم : سجر التنور يعنى أوقد عليه حتى أحماه ، والماء والحرارة من الأضداد ، فالماء تطفئ الحرارة ، والحرارة تبخر الماء ، فكيف يمكن للأضداد أن تتعايش فى تلاحم وثيق دون أن يلغى أحدها الآخر ؟ وقد دفعهم ذلك إلى نسبة الأمر للآخرة استنادًا إلى ما جاء فى سورة التكوير من قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (التكوير : ٦)

ولكن الآيات فى مطلع سورة التكوير كلها تشير إلى أمور مستقبلية فى الآخرة ، والقسم فى مطلع سورة الطور كله بأمور واقعة فى حياتنا . . .!!!

واضطر ذلك مجموعة من المفسرين إلى البحث عن معنى لغوى للفعل «سجر» غير أوقد على الشيء حتى أحماه ، ووجدوا من

معانى «سجر» ملأ وكف ، وفرحوا بذلك فرحًا شديدًا لأنه فسر الأمر لهم بمعنى أن الله (تعالى) يمن على البشرية كلها بأنه قد ملأ منخفضات الأرض بالماء وحجزها وكفها عن مزيد من الطغيان على اليابسة .

ولكن حديث رسول الله ﷺ الذى نتناوله فى هذه العجالة يؤكد على **«أن تحت البحر نارًا ، وأن تحت النار بحرًا»** .

والرسول (صلوات الله وسلامه عليه) لم يركب البحر فى حياته الشريفة مرة واحدة ، فمن كان يضطره إلى الخوض فى أمر غيبى كهذا لولا أن الله (تعالى) قد أخبره به ؛ لأنه (سبحانه) يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سيكتشف هذه الحقيقة الكونية المبهرة فى يوم من الأيام فأنزلها فى كتابه الكريم ، وعلمها لخاتم الأنبياء والمرسلين ؛ لتبقى شاهدة أبد الدهر على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق ، وأن هذا النبى الخاتم الذى تلقاه كان موصولا بالوحى ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض ، الذى وصفه بقوله (عز من قائل) : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ . . .!!! (النجم : ٣) .

وبعد الحرب العالمية الثانية نزل العلماء إلى أعماق البحار والمحيطات ، بحثًا عن بعض الثروات المعدنية التى استنفدت احتياطياتها ، أو قاربت على النفاد من على اليابسة فى ظل الحضارة المادية المسرفة التى يعيشها إنسان اليوم ، ففوجئوا بسلسلة من الجبال البركانية تمتد فى أواسط جميع محيطات الأرض لعدة عشرات الآلاف من الكيلو مترات أطلقوا عليها اسم : «جبال

أواسط المحيطات» . وبدراسة تلك السلاسل الجبلية المحيطية اتضح أنها تتكون فى غالبيتها من الصخور البركانية التى اندفعت على هيئة ثورات بركانية عنيفة عبر شبكة هائلة من الصدوع العميقة التى تمزق الغلاف الصخرى للأرض وتحيط بكرتنا الأرضية إحاطة كاملة فى كل الاتجاهات وتتركز أساسًا فى قيعان المحيطات وبعض البحار .

وأن شبكة الصدوع تلك تصل فى امتداداتها إلى أكثر من ٦٤,٠٠٠ كيلومتر ، وتصل فى أعماقها إلى ٦٥ كيلومترًا ، مخترقة الغلاف الصخرى للأرض بالكامل ، فتصل إلى نطاق الضعف الأرضى ، وتوجد الصخور فيه فى حالة لدنة ، شبه منصهرة ، عالية الكثافة واللزوجة تدفعها تيارات الحمل الساخنة إلى قيعان كل محيطات الأرض وقيعان بعض البحار (من مثل البحر الأحمر) فى درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية ، وذلك بملايين الأطنان فتدفع بجانبى المحيط أو البحر يمنة ويسرة فى ظاهرة يسميها العلماء ظاهرة اتساع قيعان البحار والمحيطات ، وباستمرار هذا التوسع تملأ المناطق الناتجة عن عملية الاتساع تلك بالصهارة الصخرية مما يؤدى إلى تسجير قيعان كل محيطات الأرض وقيعان بعض بحارها .

ومن الظواهر المبهرة للعلماء اليوم أن الماء فى هذه المحيطات والبحار على كثرته لا يستطيع أن يطفئ جذوة تلك الصهارة ، ولا الصهارة على شدة حرارتها تستطيع أن تبخر مياه البحار والمحيطات

بالكامل ، ويبقى هذا التوازن بين الأضداد : الماء والنار فوق قيعان كل محيطات الأرض (بما فى ذلك المحيطان المتجمدان الشمالى والجنوبى) وقيعان عدد من البحار (مثل البحر الأحمر) شهادة حية على طلاقة القدرة الإلهية التى لا تحدها حدود .

ففى مشروع لاستثمار ثروات قاع البحر الأحمر (وهو بحر قاعه منفتح تثور البراكين فيه ثورة عنيفة فتثرى رسوبيات ذلك القاع بالعديد من المعادن) ولذلك قام مشروع مشترك بين كل من المملكة العربية السعودية والسودان وإحدى الدول الأوربية لاستغلال بعض الثروات المعدنية المتجمعة فوق قاع البحر الأحمر وكانت باخرة أبحاث لذلك المشروع تلقى بكباش من المعدن لجمع عينات من طين ذلك القاع ، ويرتفع الكباش فى عمود من الماء يبلغ سمكه ثلاثة آلاف متر . فإذا وصل إلى سطح الباخرة لا يستطيع أحد أن يقربه من شدة حرارته . وإذا فتح يخرج منه الطين وبخار الماء الحار فى درجات حرارة تصل إلى الثلاثمائة درجة مئوية . وأصبح ثابتًا لدى العلماء اليوم أن الثورات البركانية فوق قيعان كل محيطات الأرض وقيعان أعداد من بحارها تفوق نظائرها على اليابسة بمراحل عديدة .

ثم ثبت بأدلة عديدة أن كل ماء الأرض - على كثرته - قد أخرجه ربنا (تبارك وتعالى) من داخل الأرض عن طريق الثورات البركانية عبر كل من فوهات البراكين ، وصدوع الغلاف الصخرى للأرض التى تمزقه إلى أعماق تصل إلى نطاق الضعف الأرضى ،

وأن الصهارة الصخرية فى نطاق الضعف الأرضى ودونه تحوى كما من الماء يفوق كل ما على سطح الأرض من ماء بعشرات الأضعاف ، وهنا تتضح روعة هذا الحديث النبوى الشريف الذى قرر فيه المصطفى ﷺ عددًا من حقائق الأرض المبهرة بقوله : «**إن تحت البحر نارًا ، وتحت النار بحرًا**» .

وهى حقائق لم يتوصل الإنسان إلى إدراك شىء منها إلا منذ سنوات معدودة ، وورودها بهذه الدقة العلمية الفائقة فى حديث رسول الله ﷺ لمما يشهد له بالنبوة والرسالة ، وبأنه ﷺ كان موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قبل خالق السماوات والأرض ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى حقه : ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ**﴾ (النجم : ٣ - ١٠)

فلم يكن أحد على وجه الأرض يعلم هذه الحقائق قبل عقود قليلة ، وورودها بهذه الدقة العلمية فى حديث رسول الله ﷺ هو من الأمور المعجزة حقًا ، والشاهدة بصدق نبوته ، وكمال رسالته (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الحديث الثالث

إرساء الأرض بالجبال

يروى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال : «لما خلق الله الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال فقال بها عليها ، فاستقرت . . . »

هذا الحديث النبوى الشريف رواه الترمذى فى سننه (كتاب تفسير القرآن) ، ورواه أحمد فى مسنده ، وكل منهما قال :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ حَدَّثَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «لما خَلَقَ اللَّهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَعَجِبَتِ الملائكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ قَالُوا : يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْجِبَالِ؟ قَالَ : نَعَم الحديدُ . قَالُوا : يَا رَبِّ ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ . قَالَ : نعَم النَّارُ . فقَالُوا : يَا رَبِّ ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ النَّارِ؟ قَالَ نَعَم الماءُ . قَالُوا : يَا رَبِّ ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الماءِ؟ قَالَ : نَعَم الرِّيحُ . قَالُوا : يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ

خلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ : نَعَمْ ابْنُ آدَمَ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ» .

قَالَ أَبُو عِيسَى : «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ» .

وهذا الحديث الشريف يتفق روحًا ومعنى مع قول الحق (تبارك وتعالى) : ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾

(النازعات : ٣٢ ، ٣٣)

وقد تكرر هذا المعنى فى تسعة مواضع أخرى من كتاب الله العزيز (الرعد : ٣ ، الحجر : ١٩ ، النحل : ١٥ ، الأنبياء : ٣١ ، النمل : ٦١ ، لقمان : ١٠ ، فصلت : ١٠ ، ق : ٧ ، المرسلات : ٢٧) مما يدل على أهميته فى تهيئة الأرض للعمران .

ولفظة الأرض ترد فى القرآن الكريم ، وفى أحاديث رسول الله ﷺ بمدلولات ثلاثة حسب مفهوم السياق ، فهى ترد أحيانًا للدلالة على الكوكب الأرضى ككل ، وأحيانًا ترد بمدلول كتل اليابسة التى نحيا عليها (الغلاف الصخرى للأرض) ، وأحيانًا أخرى يقصد بها التربة التى تغطى صخور اليابسة .

وقد اختلف العلماء فى فهم دور الجبال فى إرساء الأرض اختلافًا كبيرًا ، وذلك لأن مجموع كتل الجبال على سطح الأرض - على الرغم من ضخامتها- لا تساوى شيئًا بالنسبة لكتلة الأرض ككل والمقدرة بحوالى ستة آلاف مليون مليون مليون طن .

كذلك فإن ارتفاعات الجبال - على تعاظمها- لا تساوى شيئًا بالنسبة إلى طول نصف قطر الأرض ، وذلك لأن الفرق بين أعلى قمة جبلية على سطح الأرض [وهى قمة إفرست ، فى سلسلة جبال الهيمالايا والتى يبلغ ارتفاعها (٨٨٤٨ مترًا) فوق مستوى سطح البحر] ، وبين أعمق بقعة فى أغوار المحيطات [وهى غور ماريانا بالقرب من جزر الفلبين ، والتى تبلغ فى العمق أكثر قليلا من أحد عشر كيلو مترًا تحت مستوى سطح البحر] لا يكاد يصل إلى عشرين كيلومترًا (١٩,٧١٥كيلو متر) بينما يبلغ نصف القطر الاستوائى للأرض ٦٣٧٨,١٦٠ كيلومتر ، وهنا تتضح ضآلة تضاريس الأرض بالنسبة إلى نصف قطرها ونسبتها لا تكاد تتعدى ٣,-٪ $\left(\frac{١٠٠\times١٩,٧١٥}{٦٣٧٨,١٦٠}\right)$.

وهنا يبرز التساؤل المنطقى : كيف يمكن للجبال أن تثبت الأرض وكتلتها وأبعادها بهذه الضآلة إذا ما قورنت بكتلة وأبعاد الأرض؟ والجواب لم يكن ممكنًا قبل أواسط الستينيات من القرن العشرين حين اتضح لنا أن الغلاف الصخرى للأرض ممزق بشبكة هائلة من الصدوع التى تمتد لعشرات الآلاف من الكيلو مترات وهى محيطة بالأرض إحاطة كاملة بعمق يتراوح بين ٦٥ كم ، ١٥٠ كم ، فتؤدى إلى تمزيق هذا الغلاف إلى عدد من الألواح الصخرية المعزولة عن بعضها البعض بمستويات تلك الصدوع وتطفو ألواح الغلاف الصخرى للأرض فوق طبقة لدنة ، شبه منصهرة عالية الكثافة واللزوجة تعرف باسم نطاق الضعف الأرضى .

وفى هذا النطاق تنشط التيارات الحرارية على هيئة دوامات

عاتية من تيارات الحمل التى تدفع بألواح الغلاف الصخرى للأرض متباعدة عن بعضها البعض ، أو مصطدمة ببعضها البعض بسرعات لا تسمح بعمرانها على الإطلاق .

وهذه الحركات لألواح الغلاف الصخرى للأرض لايهدئ من عُنْفِها إلا تَكَوُّن السلاسل الجبلية على مراحل متتالية حتى تصل إلى مرحلتها النهائية باستهلاك قاع المحيط الفاصل بين قارتين متباعدتين استهلاكًا كاملاً ، وذلك بدفع إحدى القارتين له تحت القارة الأخرى حتى تصطدم القارتان ضاغطة الصخور المتجمعة بينهما على هيئة سلاسل جبلية عظيمة ، تمتد بأوتادها لتثبت صخور إحدى القارتين بصخور الأخرى ، كما يثبت الوتد أركان الخيمة بالأرض ، وكما قد حدث بتحرك الهند فى اتجاه القارة الآسيوية ، حتى اصطدمتا ونتج عن ذلك تكون جبال الهيمالايا كأحدث سلسلة جبلية على سطح الأرض ، وأعلاها ارتفاعًا .

هذا بالنسبة لتثبيت كتل القارات على سطح الأرض ، أما بالنسبة للأرض ككوكب ، فمن المعروف أنه نتيجة لدوران أرضنا حول محورها فقد تحول شكلها من كرة تامة الاستدارة إلى شبه كرة ، منبعجة قليلاً عند خط الاستواء ، ومفلطحة قليلاً عند القطبين ، وهذا النتوء الاستوائى للأرض جعل محور دورانها يغير اتجاهه فى حركة بطيئة تعرف باسم : «الحركة البدارية» وتعبر عن حركة محور دوران الأرض فى الفضاء ، وهذا المحور يترنح ويتمايل فى حركات مختلفة مع حركة كل من القمر والشمس ، ومع المتغيرات المستمرة فى مقدار واتجاه قوتى كل منهما البدارية ،

ووضع الأرض بالنسبة لكل منهما ، ويقلل من عنف هذه الحركات وجود الجبال ذات الجذور الغائرة فى الغلاف الصخرى للأرض (والتى تمتد فى عمق الأرض بعشرة إلى خمسة عشر ضعفًا لارتفاعها فوق سطح الأرض) فتقلل من شدة ترنح محور دوران الأرض ، وتجعلها أكثر استقرارًا وانتظامًا فى دورانها حول محورها ، وأقل ارتجاجًا وترنحًا ، تمامًا كما تفعل قطع الرصاص حول أطر عجلات السيارات ؛ لتقلل من ارتجاجها أثناء دورانها تحت السيارة .

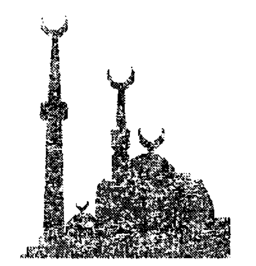
وهنا تتضح صورة من صور الإعجاز العلمى فى حديث رسول الله ﷺ الذى قال فيه :

«عندما خلق الله الأرض جعلت تميد ، فأرساها بالجبال»

والحديث الشريف يتفق نصًا ومعنى مع عشر آيات قرآنية كريمة (سبقت الإشارة إليها) ، فسبحان الذى أنزل القرآن من قبل أربعة عشر قرنًا بهذه الحقيقة العلمية المبهرة ، وألهمها خاتم أنبيائه ورسله ﷺ فصاغها هذه الصياغة المعجزة (وقد أوتى مجامع الكلم) ، ولم يتوصل الإنسان إلى شىء من هذا الفهم لوظيفة الجبال إلا فى العقود المتأخرة من القرن العشرين ، ولا يمكن لعاقل أن يتصور أن هذه الحقيقة العلمية ، والعديد غيرها من الحقائق التى جاءت على لسان هذا النبى الأمى (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) ، والذى بعث فى أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين كان لها مصدر غير الله الخالق ، فلم يكن لأحد من الخلق أى إدراك لتلك الحقيقة قبل العقود المتأخرة من القرن العشرين ، وورودها فى كتاب الله المنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة ، وفى سنة رسوله ﷺ

بهذه الصياغة الدقيقة المحكمة وهو النبى الأمى الذى عاش فى أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين لمما يشهد لهذا النبى الخاتم والرسول الخاتم بالنبوة والرسالة ، ويشهد للوحى الذى تلقاه بأنه كلام الله الخالق ، وأنه ﷺ كان كما وصفه ربه (سبحانه وتعالى) .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٣ ، ٤) .



الحديث الرابع

المطر فضل من الله ورحمة

أخرج البخارى فى صحيحه (كتاب الأذان) قال :

● حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ : «صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : قال ربكم : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» .

وأخرج أبو داود فى سننه (كتاب الطب) و(كتاب الكهانة والتطير) قال :

● حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ عَنْ مَالِكٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ : «صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ

رَبُّكُمْ؟ قَالُوا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» .

ونزول المطر من السحاب لايزال قضية غير مفهومة بتفاصيلها من الوجهة العلمية ، وكل ما يعرفه العلماء أن الأرض هى أغنى كواكب المجموعة الشمسية بالماء ، الذى تقدر كميته بحوالى ١٣٦٠ - ١٣٨٥ مليون كيلومتر مكعب أغلبه فى البحار والمحيطات (٩٧,٢٪) ، وأقله ماء عذب (٢,٨٪) وأغلب هذا الماء العذب (٢,٠٥٢٪ إلى ٢,١٥٪) محبوس على هيئة سمك هائل من الجليد فوق قطبى الأرض وفى قمم الجبال ، والباقى مختزن فى صخور القشرة الأرضية (٢٧,-٪) وفى بحيرات الماء العذب (٣٣,-٪) وعلى هيئة رطوبة فى تربة الأرض (١٨,-٪) وعلى هيئة رطوبة كذلك فى الغلاف الغازى للأرض (٠٣٦,-٪) وأقل ذلك كله هى المياه الجارية فى الأنهار والجداول (٠٠٤٧,-٪)

وهذا الماء الأرضى أخرجه ربنا (تبارك وتعالى) كله من داخل الأرض عن طريق ثورة البراكين ، ووزعه بتقدير حكيم ، وأداره فى دورة منضبطة بين الأرض ؛ وغلافها الغازى (السماء) ولولا هذه الدورة المحكمة لفسد ماء الأرض ؛ لوجود بلايين البلايين من

الكائنات الحية التى تحيا وتموت فى مختلف الأوساط المائية فى كل لحظة ، والتى كان من الممكن أن تحول هذا الماء إلى ماء عفن لولا دورته حول الأرض .

وقد اقتضت مشيئة الله الخالق (جل وعلا) أن يسكن فى الأرض هذا القدر المحدد من الماء ، وأن يوزعه بدقة بالغة بين البحار والمحيطات ، والأنهار والبحيرات ، وأن يختزن جزءاً منه فى صخور القشرة الأرضية ، أو يحبسه على هيئة الجالد فى قمم الجبال وفوق القطبين ، أو ينشره برقة على هيئة درجة من الرطوبة فى كل من الجو وتربة الأرض وهذا كله بالقدر المنضبط الكافى لمتطلبات الحياة الأرضية ، وللتوازن الحرارى على سطح الأرض من مكان إلى آخر ومن فصل مناخى إلى آخر ، وهذا القدر الموزون من الماء لو زاد قليلاً لغمر الأرض وغطى سطحها بالكامل ، ولو قل قليلاً لقصر دون متطلبات الحياة على سطحها .

وحرارة الشمس تبخر ماء الأرض من أسطح البحار والمحيطات ، والأنهار والبحيرات ، والبرك والمستنقعات ، ومن أسطح تجمعات الجليد ، وحتى من المياه المختزنة تحت سطح الأرض ، ومن تنفس كل من الإنسان والحيوان ، ونتح النباتات ، وغير ذلك من مختلف مصادر المياه فيرتفع بخار الماء إلى الطبقات الدنيا من الغلاف الغازى للأرض (نطاق المناخ) الذى تتناقص فيه درجات الحرارة مع الارتفاع ، ويقل الضغط ، مما يساعد على تكثف بخار الماء الصاعد من الأرض على نوى دقيقة من الغبار العالق بالهواءتعرف باسم :

نوى التكثف ، مما يعين على عودة ماء الأرض إليها على هيئة مطر أو برد أو ثلج أو ضباب أو ندى .

ويتبخر من ماء الأرض ٣٨٠ ألف كيلومتر مكعب فى كل سنة أغلبها (٣٢٠ ألف كيلومتر مكعب) من أسطح البحار والمحيطات ، وأقلها (٦٠ ألف كيلومتر مكعب) من أسطح اليابسة ، وتعود هذه الكمية إلى الأرض بمعدلات مختلفة (٢٨٤ ألف كيلومتر مكعب على البحار والمحيطات ، ٩٦ ألف كيلو متر مكعب على اليابسة) ويفيض الفارق فى الحالتين (٣٦ ألف كيلو متر مكعب) من اليابسة إلى البحار والمحيطات ، بعد أن يكون قد أدى دوره فى رى النباتات والحيوانات والأناسى ، وفى تفتيت صخور الأرض ، وتكوين التربة وتركيز العديد من الخامات الرسوبية ، وفى شق المجارى المائية والفجاج والسبل ، وفى تلطيف الجو وترطيبه .

وأكرر القول بأن نزول المطر من السحاب لايزال عملية غير مفهومة علميا بتفاصيلها الدقيقة ، وذلك لأنها تتم بعدد من العمليات غير المشاهدة بطريقة مباشرة ، ولذلك وُضعت لها أعداد من الفروض والنظريات منها تأثير حركة الرياح الأرضية ، والغبار الذى تثيره من فوق سطح الأرض ، ومنها الشحنات الكهربية فى السحابة الواحدة أو بين السحب المنفصلة عند التقائها وتصادمها مع بعضها البعض ، ومنها تأثير الرياح الشمسية على أغلفة الأرض وأجوائها المختلفة ، وفوق ذلك وقبله وبعده إرادة الخالق العظيم ، كما هو واضح من توجيه الحديث النبوى الشريف الذى نحن بصدده .

ومن المعروف أن نسبة الماء فى السحب ضئيلة جدا إذ لا تتعدى ٢٪ من الماء الموجود فى الغلاف الجوى للأرض ، الذى لاتكاد نسبته أن تتعدى ٠٣٦,-٪ من مجموع ماء الأرض .

ويوجد الماء فى نطاق المناخ للأرض على هيئة قطرات صغيرة جدا (أكبر قليلاً من واحد ميكرون) ، وتلتصق تلك القطرات المائية بالهواء للزوجتها ، وشدة توترها السطحى ، وذلك فى السحب العادية التى تحملها الرياح دون أن تسقط مطرًا على الأرض إلا بعد تلقيحها . ويتم تلقيح السحب إما بامتزاج سحابتين إحداهما ساخنة ، والأخرى باردة . أو تحمل إحداهما شحنة كهربية موجبة والأخرى سالبة ، أو بواسطة عدد من الجسيمات الصلبة الدقيقة للغبار الذى تثيره الرياح من فوق سطح الأرض وتلقح به السحب فتعين على تكثف بخار الماء عليها وهطوله مطرًا بإذن الله ، وحينما يشاء .

والمطر عادة ينزل بقطرات دقيقة ، ولكنه قد ينزل أحيانًا بقطرات كبيرة (يزيد قطرها فى بعض الحالات على ٤-٨ ملليمترات) وتنتج هذه القطرات الكبيرة من تكثف بخار الماء على نوى من الغبار كبيرة نسبيا تنمو بالتدريج ، حتى تصل إلى تلك الأحجام بتوالى تكثف بخار الماء عليها .

وتوافر هذه الشروط مجتمعة أو منفردة ، يتطلب تقديرًا مسبقًا ولا يمكن أن يتم بعشوائية أو صدفة . ويتضح من ذلك أن تَكَوُّن المطر هو سر من أسرار الكون ، لم يتمكن الإنسان من فهمه بعد

فهمًا كاملا ، ولكن يد القدرة الإلهية واضحة فيه وضوح الشمس ويتضح ذلك بشكل أكثر إعجازًا فى توزيع المطر على سطح الأرض بإرادة الخالق العظيم (سبحانه وتعالى) . ومن هنا كان حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده ، وكان التفصيل القرآنى الذى يقول فيه الحق (تبارك وتعالى) :

١ ـ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(الأعراف : ٥٧)

٢ ـ ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ (الحجر : ٢٢)

٣ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢١ ، ٢٢)

٤ ـ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ . . . ﴾ (الأنعام : ٩٩)

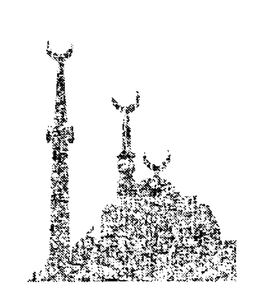
٥ ـ ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ (طه : ٥٣)

٦ ـ ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٨)

٧ ـ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ (الفرقان : ٤٨)

وهذه الآيات الكريمة وغيرها من آى القرآن العظيم تنسب الفعل كله لله (تعالى) ، ومن هنا جاء نص حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده داعمًا نبوته ورسالته ، وشاهدًا على أنه (ﷺ) كان موصولاً بالوحى ومعلمًا من قبل خالق السماوات والأرض :

﴿ وما ينطِقُ عنِ الهوىٰ ۝ إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٣ ، ٤) .



الحديث الخامس

ماء زمزم لما شُرب له

● يروى عن جابر (رضي الله) أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ماء زمزم لما شُرب له» ويضيف ابن عباس (رضى الله عنهما) فى روايته للحديث : ماء زمزم لما شرب له ، إن شربته تتشفى به شفاك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله ، هى هزمة جبريل وسقيا الله إسماعيل» .

هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه ابن ماجه فى سننه (كتاب المناسك) قال :

● حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّار حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِم قَالَ :

قَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ المؤَمَّل أَنَّهُ سَمعَ أَبَا الزُّبَيْرِ يَقُولُ : سَمعْتُ جَابرَ ابْنَ عَبْد اللَّهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ» .

كذلك روى عن هذا النبى الخاتم ﷺ عدد غير قليل من الأحاديث فى ماء زمزم ، وفضله ، ووصف بئره التى قال فيها ﷺ بأنها «هزمة جبريل ، وسقيا الله إسماعيل» .

وبئر زمزم فجرها جبريل (عليه السلام) بأمر من الله (تعالى) ؛ تكريمًا لأم إسماعيل ورضيعها اللذين تركهما نبى الله إبراهيم (عليه السلام) بوادٍ غير ذى زرع عند بيت الله المحرم ، وعندما هَمَّ بالانصراف فزعت هذه السيدة الصالحة من قفر المكان ، وخلوه من الماء

والنبت والسكان ، فجَرَت وراء زوجها تسائله : إلى من تكلنا؟ إلى من تتركنا فى هذا المكان القفر؟ قال : إلى الله عز وجل ، قالت : قد رضيت بالله (عز وجل) ، ثم سألته بثقتها فيه ، ويقينها بأنه نبى مرسل : آلله أمرك بهذا؟ فأجاب بنعم ، واستمر فى سيره حتى غاب عن زوجه وولده فاستقبل بوجهه البيت ودعا الله لهما بالأنس والرزق والستر . وقفلت أم إسماعيل راجعة وهى تقول : إذا فلن يضيعنا ، وردًا على هذا الإيمان العميق بالله ، واليقين الصادق بقدرته ورحمته ، ومعيته أكرمها ربنا (تبارك وتعالى) بتفجير هذه البئر المباركة بغير حول منها ولا قوة . . .!!

وخروج بئر وسط صخور نارية ومتحولة ، شديدة التبلور ، مصمتة ، لا مسامية فيها ، ولا نفاذية لها فى العادة ، أمر لافت للنظر ، والذى هو أكبر من ذلك وأكثر أن تظل هذه البئر تتدفق بالماء الزلال على مدى أكثر من ثلاثة آلاف سنة على الرغم من طمرها وحفرها عدة مرات على فترات ، ويبلغ معدل تدفق بئر زمزم اليوم ما بين ١١ ، ١٨,٥ لتر فى الثانية فهى بئر مباركة ، فجرت بمعجزة ؛ كرامة لسيدنا إبراهيم وزوجه ، وولده (عليهم جميعًا من الله السلام) . ولم يعرف مصدر المياه المتدفقة إلى بئر زمزم إلا بعد حفر الأنفاق حول مكة المكرمة ، حين لاحظ العاملون تدفق المياه بغزارة فى تلك الأنفاق من تشققات شعرية دقيقة ، تمتد لمسافات هائلة بعيدًا عن مكة المكرمة ، وفى جميع الاتجاهات من حولها ، وهذا يؤكد قول المصطفى ﷺ بأنها نتجت عن طرقة شديدة وصفها بقوله الشريف :

هى: (هزمة جبريل ، وسقيا الله إسماعيل) ، والهزمة فى اللغة :

الطرقة الشديد . وبئر زمزم هى إحدى المعجزات المادية الملموسة الدالة على كرامة المكان ، وعلى مكانة كل من سيدنا إبراهيم ، وولده سيدنا إسماعيل ، وأمه (الصديقة هاجر) عند رب العالمين ، وسيدنا إبراهيم (عليه السلام) هو خليل الرحمن وأبو الأنبياء الذى أعاد حفر بئر زمزم ، وسيدنا إسماعيل هو الذبيح المفتدى بفضل من الله (تعالى) والذى عاون أباه فى رفع قواعد الكعبة المشرفة ، وانطلاقًا من كرامة المكان ، وعميق إيمان المكرمين فيه ، كان شرف ماء زمزم الذى وصفه المصطفى ﷺ بقوله : «ماء زمزم لما شرب له» ، وبقوله : «**خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام طعم ، وشفاء سقم**» .

ويروى عن أم المؤمنين عائشة (رضى الله تبارك وتعالى عنها) أنها كانت تحمل من ماء زمزم كلما زارت مكة المكرمة ، وأن رسول الله ﷺ كان يحمل منه كذلك ليسقى المرضى ، ويصب على أجزاء أجسادهم المصابة فيشفون وتشفى أجسادهم بإذن الله .

ولقد جاء فى كتاب «فيض القدير» فى شرح حديث المصطفى ﷺ الذى يقول فيه : «**ماء زمزم لما شرب له**» ما نَصُّهُ : «وأما قوله (لما شرب له) فلأنه سقيا الله وغياثه لولد خليله ، فبقى غياثًا لمن بعده ، فمن شربه بإخلاص وجد ذلك الغوث ، وقد شربه جمع من العلماء لمطالب فنالوها» .

وذكر ابن القيم (رحمه الله) فى كتابه (زاد المعاد) «وقد جربت أنا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أمورًا عجيبة ، واستشفيت به من عدة أمراض فبرئت بإذن الله ، وشاهدت من يتغذى به الأيام

ذوات العدد قريبًا من نصف الشهر أو أكثر ، ولا يجد جوعًا» وذلك تصديق لوصف المصطفى ﷺ لهذا الماء المبارك بقوله : «فيه طعام طعم وشفاء سقم» .

وذكر الشوكانى (رحمه الله) فى كتابه (نيل الأوطار) ما نصه : «قوله (ماء زمزم لما شرب له) فيه دليل على أن ماء زمزم ينفع الشارب لأى أمر شربه لأجله ، سواء أكان فى أمور الدنيا أو الآخرة لأن (ما) فى قوله (لما شرب له) من صيغ العموم» .

هذا وقد دونت فى زماننا أحداث كثيرة برئ فيها أعداد من المرضى بأمراض مستعصية بمداومتهم على الارتواء من ماء زمزم .

من خصائص ماء زمزم : أثبتت الدراسات العلمية التى أجريت على ماء بئر زمزم أنه ماء متميز فى صفاته الطبيعية والكيميائية ، فهو ماء غازى عسر ، غنى بالعناصر والمركبات الكيميائية النافعة التى تقدر بحوالى (٢٠٠٠) ملليجرام بكل لتر ، بينما لا تزيد نسبة الأملاح فى مياه آبار مكة وآبار الأودية المجاورة لها على ٢٦٠ ملليجرامًا بكل لتر ، مما يوحى ببعد مصادرها عن المصادر المائية حول مكة المكرمة ، وبتميزها عنها فى محتواها الكيميائى وصفاتها الطبيعية

والعناصر الكيميائية فى ماء زمزم يمكن تقسيمها إلى أيونات موجبة وهى بحسب وفرتها تشمل : أيونات كل من الصوديوم (حوالى ٢٥٠ ملليجرامًا/ لتر) ، والكالسيوم (حوالى ٢٠٠ ملليجرامًا/ لتر) . والبوتاسيوم (حوالى ١٢٠ ملليجرامًا/ لتر) . والمغنسيوم (حوالى ٥٠ ملليجرامًا/ لتر) ؛ وأيونات سالبة وتشمل أيونات كل من الكبريتات (حوالى ٣٧٢ ملليجرامًا/ لتر) ،

والبيكربونات (حوالى ٣٦٦ ملليجرامًا/ لتر) . والنترات (حوالى ٢٧٣ ملليجرامًا / لتر) ، والفوسفات (حوالى ٠,٢٥ ملليجرامًا/ لتر) ، والنشادر (حوالى ٦ ملليجرامات/ لتر) .

وكل مركب من هذه المركبات الكيميائية له دوره المهم فى النشاط الحيوى لخلايا جسم الإنسان ، وفى تعويض الناقص منها فى داخل تلك الخلايا ، ومن الثابت أن هناك علاقة وطيدة بين اختلال التركيب الكيميائى لجسم الإنسان والعديد من الأمراض . ومن المعروف أن المياه المعدنية الصالحة وغير الصالحة للشرب قد استعملت منذ قرون عديدة فى الاستشفاء من عدد من الأمراض ، فالمياه المعدنية الصالحة للشرب ثبت دورها فى علاج أعداد غير قليلة من الأمراض من مثل حموضة المعدة ، عسر الهضم ، أمراض شرايين القلب التاجية (الذبحة الصدرية أو جلطة الشريان التاجى) ، وغيرها . أما المياه المعدنية غير الصالحة للشرب فتفيد فى علاج العديد من الأمراض الجلدية ، والروماتيزمية ، والتهاب العضلات والمفاصل وغيرها ، ودورها فى ذلك هو فى الغالب دور تنشيطى للدورة الدموية ، أو دور تعويضى لنقص بعض العناصر فى جسم المريض .

فسبحان الذى أمر بشق بئر زمزم فكانت هذه البئر المباركة ، وسبحان الذى أمر الماء بالتدفق إليها من مسافات بعيدة ، عبر شقوق شعرية دقيقة ، وسبحان الذى علم خاتم أنبيائه ورسله بحقيقة ذلك كله ، فصاغه فى عدد من أحاديثه الشريفة التى بقيت شاهدة له ﷺ بالنبوة وبالرسالة ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

الحديث السادس

«لا يجوع أهل بيت عندهم التمر»

هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب الأشربة) حيث قال

● حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«لا يَجُوعُ أَهْلُ بَيْتٍ عِنْدَهُمُ التَّمْرُ»**.

وفى رواية أخرى (كتاب الأشربة) قاله بلفظ آخر:

● حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَحْلاءَ عَنْ أَبِي الرِّجَالِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أُمِّهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لاَ تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا»**.

والتمر هو تمر النخيل من حين الانعقاد إلى حين الإدراك، ثم النضج. وهو تعبير عام لأن كلا من البُسْر والرطب لا يبقى فترة طويلة بعد موسم الإثمار، والتمر هو الثمرة المجففة التى تعيش على مدار السنة، والبسر هو الغض من التمر.

وقد ذكر النخل والنخيل فى القرآن الكريم فى عشرين موضعًا،

ويتبع نخيل التمر فصيلة (النخيليات) التى تضم عددا من الرتب أهمها نخيل التمر . ونخيل الزيت ، وجنس نخيل التمر يضم حوالى الخمسة عشر نوعًا ، ويضم نوع نخيل التمر أكثر من ألف صنف منها حوالى الأربعمائة صنف فى الجزيرة العربية وحدها ، وحوالى الستمائة صنف فى العراق ، الذى ندعو الله (تعالى) أن يطهره من دنس الاحتلال الأنجلو أمريكى البغيض .

والنخيل من الأشجار الدائمة الخضرة ، التى تنمو فى المناطق الحارة أساسًا ، ولكنها تأقلمت مع كل من المناطق المعتدلة والجافة ، وشجرة النخيل هى من أكثر النباتات المنزرعة احتمالاً لكل من الجفاف والملوحة ، ولذا تنجح زراعتها حتى فى المناطق القاحلة .

ومنتجات النخيل تعتبر من أهم المصادر النباتية التى اعتمد عليها الإنسان منذ القدم ، خاصة فى المناطق الصحراوية من مثل الحزام الصحراوى الممتد من موريتانيا غربًا إلى أواسط آسيا شرقًا فى هذه الأيام .

وينتمى النخيل إلى النباتات ذوات الفلقة الواحدة ، وتتمايز أشجاره إلى ذكر وأنثى ، يبدأ كل منهما فى الإزهار فى سنته الخامسة ، ويستمر فى الإنتاج الجيد إلى عمر يتراوح بين الثلاثين والأربعين سنة .

ونخيل التمر بالذات قد أعطاه الله (تعالى) القدرة على مقاومة الحرارة الشديدة والتى قد تصل إلى خمسين درجة مئوية فى الصيف ، كما أعطاه القدرة على تحمل كل من الجفاف الشديد والملوحة العالية ، فالطول الباسق لجذوع النخل وسمكها

وخشونتها ، وتغطيتها بقواعد الأوراق القديمة يعينه على تخزين الماء بكميات كبيرة وعدم فقده بسهولة ، والأوراق الرمحية ، السميكة ذات القمة الشوكية ، والموجودة فى قمة الشجرة بأعداد قليلة لا تزيد على ٢٠ إلى ٤٠ ورقة والتى تتجدد باستمرار تعين على تقليل النتح ، ومن ثم تقليل فقد الماء .

التركيب الكيميائى للتمور :

التمر وهو من ثمرات النخيل يعد غذاءً شبه كامل للإنسان وذلك لاحتوائه على أغلب العناصر التى يحتاجها جسم الإنسان ولذا يصفه الحق (تبارك وتعالى) بقوله العزيز : ﴿ **وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا** ﴾ (النحل :٦٧)

فالتمر يحتوى على مواد سكرية ، وكربوهيدراتية ، وبروتينية ، ودهنية وعلى عدد من العناصر المهمة ، والفيتامينات الضرورية لحياة الإنسان ، وقد أثبتت التحاليل الكيميائية أن التمر الجاف يحتوى على ٧٠,٦٪ من الكربوهيدرات ، ٢,٥٪ من الدهون ١,٣٢ من الأملاح المعدنية التى تشمل مركبات كل من الكالسيوم ، والحديد والفوسفور ، والمغنسيوم ، والبوتاسيوم ، والنحاس ، والمنجنيز ، والكوبلت ، والزنك وغيرها ، كما يحتوى على ١٠٪ من الألياف ، بالإضافة إلى فيتامينات تشمل فيتامين ا ، ب $_{١}$ ، ب $_{٢}$ ، ج ، وإلى نسب متفاوتة من السكريات والبروتينات .

من الفوائد الطبية للتمور :

للتمر فوائد طبية كثيرة فهو غذاء مهم للخلايا العصبية ، وطارد للسموم ، ومفيد فى حالات الفشل الكلوى ، والمرارة ، وارتفاع

ضغط الدم، والبواسير، والنقرس، وهو ملين طبيعى، ومقو للسمع، ومنبه لحركة الرحم، ومقو لعضلاته مما ييسر عملية الولادة الطبيعية ومن هنا كانت الإشارة القرآنية إلى السيدة مريم البتول وهى تضع نبى الله عيسى (عليه السلام) بقول الحق (تبارك وتعالى) لها :

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾

(مريم : ٢٥، ٢٦)

ومن هنا أيضًا كانت وصية رسول الله ﷺ بقوله الشريف : «أَطْعِمُوا نِسَاءَكُمْ فِى نِفَاسِهِنَّ التَّمْرَ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ طَعَامَهَا فِى نِفَاسِهَا التَّمْرُ خَرَجَ وَلِيدُهَا حَلِيمًا، فَإِنَّهُ كَانَ طَعَامَ مَرْيَمَ حَيْثُ وَلَدَتْ، وَلَوْ عَلِمَ طَعَامًا خَيْرًا مِنَ التَّمْرِ لَأَطْعَمَهَا إِيَّاهُ» .

(رواه الترمذى فى سننه فى كتاب الزكاة)

وروى الترمذى كذلك حديثا آخر فى التمر جاء فيه :

● حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ عَنِ الرَّبَابِ عَنْ عَمِّهَا سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا فَالْمَاءُ فَإِنَّهُ طَهُورٌ، و قَالَ الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صَدَقَةٌ

وَصِلَةٌ» ، وقَالَ الإمام الترمذى (رحمه الله) : وَفِي الْبَاب عَن زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَجَابِرٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ وَالرَّبَابُ هِيَ أُمُّ الرَّائِحِ بِنْتُ صُلَيْعٍ وَهَكَذَا رَوَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ عَنِ الرَّبَابِ عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ هَذَا الحديثِ وَرَوَى شُعْبَةُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ عنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنِ الرَّبَابِ وَحَدِيثُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَابْنِ عُيَيْنَةَ أَصَحُّ وَهَكَذَا رَوَى ابْنُ عَوْنٍ وَهِشَامُ بْنُ حَسَّانَ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ عَنِ الرَّبَابِ عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ

ـ ورواه أيضا فى كتاب (الصوم) باللفظ التالى :

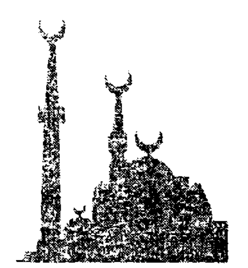
● حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلانَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ . وحَدَّثَنَا هَنَّادٌ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ عَنِ الرَّبَابِ عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ» زَادَ ابْنُ عُيَيْنَةَ «فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى مَاءٍ فَإِنَّهُ طَهُورٌ» قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وكانت وصيته التى يقول فيها ﷺ : «**لا يجوع أهل بيت عندهم التمر**» .

ويعجب كل قارئ لهذه الأحاديث الشريفة لما تحتويه من علم صحيح لم تصل إليه مدارك الإنسان إلا منذ سنوات قليلة ، ونطق به المصطفى ﷺ من قبل ألف وأربعمائة من السنين مما يؤكد صدق نبوته ، وصدق رسالته ، وصدق اتصاله بوحى السماء الذى وصفه بقول الحق (تبارك وتعالى) :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٣ ، ٤) .





الحديث السابع

«لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا»

● أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا».

وروى الإمام أحمد فى مسنده قال:

● حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيُّ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاتَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ المالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا».

وروى كذلك قال:

● حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي ابْنَ زَكَرِيَّا عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا وَحَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَكَّةَ لا يَخَافُ

إِلا ضَلالَ الطَّرِيقِ وَحَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ» . قَالُوا : وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ الله . قَالَ : «الْقَتْلُ» .

وهذه الأحاديث الشريفة من المعجزات العلمية التى تصف حقيقة كونية لم يدركها العلماء إلا فى العقود المتأخرة من القرن العشرين حين ثبت لهم بأدلة قاطعة أن جزيرة العرب كانت فى القديم مروجًا وأنهارا ، كما تشير الدراسات المناخية إلى أن تلك الصحراء القاحلة فى طريقها الآن للعودة مروجًا وأنهارًا مرة أخرى ، وذلك لأن كوكب الأرض يمر- فى تاريخه الطويل- بدورات مناخية متقلبة تتم على مراحل زمنية طويلة ومتدرجة- كما قد تكون فجائية ، ومتسارعة فعلى سبيل المثال أدرك علماء الأرض منذ قرن ونصف تقريبًا أن أرضنا قد مرت بعدد من دورات زحف الجليد على اليابسة تعرف باسم «الدورات الجليدية» يتحرك خلالها الجليد من أحد قطبى الأرض (أو منْهما معا) فى اتجاه خط الاستواء ، وينحسر فى عدد من المرات فى الدورة الواحدة ، وقد وضعت نظريات عديدة لتفسير كيفية دخول الأرض فى هذه الدورات الجليدية تتلخص فى نقص كمية الطاقة الشمسية الواصلة إلى كوكبنا نتيجة للتغيرات الدورية فى شكل مداره حول الشمس ، وميل محوره على هذا المدار ، واختلاف معدل ترنحه حول محوره ، يضاف إلى ذلك زحف القارات عبر المناطق المناخية المختلفة كنتيجة حتمية لتحرك ألواح الغلاف الصخرى للأرض .

وفى أثناء الزحف الجليدى على اليابسة تتحول البلاد فى مناطق خطوط العرض العليا إلى صحارى جليدية قاحلة تموت فيها النباتات ، وتهرب الحيوانات ، بينما تتحول الأحزمة الصحراوية من مثل الحزام الصحراوى الممتد من موريتانيا غربًا إلى أواسط آسيا شرقًا إلى منطقة مطر غزير ، وفى أثناء هذه الدورات المطيرة شقت كل الأودية الجافة التى تنتشر فى صحارى تلك المنطقة اليوم ، وكانت أنهارًا متدفقة فى القديم . ثم جفت مع تناقص كمية الأمطار فهذه الأودية الجافة لا يمكن أن يكون سبب شقها عاملاً غير المياه الجارية .

وبدراسات متأنية ثبت لنا أن جزيرة العرب قد مرت فى خلال الخمسة وثلاثين ألف سنة الماضية بسبع فترات مطيرة تخللت ثمانى فترات جافة ، تمر حاليًا بالفترة الثامنة منها .

وتشير الدراسات المناخية إلى أننا مقدمون على فترة مطيرة جديدة شواهدها بدايات زحف للجليد فى نصف الكرة الشمالى باتجاه الجنوب ، وانخفاض ملحوظ فى درجات حرارة فصل الشتاء ، ولولا التزايد المطرد فى معدلات التلوث البيئى التى تزيد من ظاهرة الاحتباس الحرارى لشاهدنا زحف الجليد على كل من أمريكا الشمالية وأوربا وآسيا فى زماننا الراهن ، وسوف يحدث ذلك قريبًا إن شاء الله (تعالى) .

وفى فترات المطر كسيت الجزيرة العربية بالمروج الخضراء ، وتدفقت الأنهار بالمياه الجارية ، وتحولت المنخفضات إلى بحيرات زاخرة بالحياة ، وعمرت اليابسة بمختلف صور الحياة الأرضية كما

وصفها حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده وحتى صحراء الربع الخالى- التى تعتبر اليوم واحدة من أكثر أجزاء الأرض قحولة وجفافًا - ثبت أنه كانت بها أعداد من البحيرات ، والمجارى المائية القديمة التى كانت تزخر بالحياة ثم جفت ودفنت تحت رمالها السافية ، وأن تلك البحيرات والمجارى المائية كانت زاخرة بالحياة ، ومتدفقة بالمياه إلى زمن قوم عاد الذين أقاموا فى جنوب الجزيرة العربية حضارة مادية لم يكن يدانيها فى ازدهارها المادى حضارة أخرى فى زمانها ، وكانت تلك الحضارة تصدر إلى أوربا (البدائية فى ذلك الوقت) الفواكه المجففة ، والبذور ، والبخور ، والعطور ، والأخشاب ، والذهب والفضة ، فلما جاء إلى قوم عاد نبيهم ورسولهم سيدنا هود (عليه السلام) بالهداية الربانية ، بدعوة التوحيد الخالص لله (تعالى) ، وعبادته بما أمر ، والقيام بواجبات الاستخلاف فى الأرض وعمرانها ، وإقامة عدل الله فيها ، كفروا بربهم ، وجحدوا بآياته ، وعصوا رسول الله إليهم وكذبوه واستكبروا فى الأرض بغير الحق ، فأرسل الله (تعالى) عليهم الريح العقيم فطمرتهم وطمرت حضارتهم برمالها ، وقطعت دابرهم ، وجعلتهم كالرميم ، وفى ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى) : ﴿ **فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ** ﴾ . (فصلت : ١٥ ، ١٦)

وقد وصف الحضارة المادية لقوم عاد أثناء ازدهارها اثنان من المؤرخين القدامى كان أولهما بطليموس الإسكندرى ، الذى كان أمينًا لمكتبة الإسكندرية وقام برسم الأنهار المتدفقة فى منطقة الربع الخالى الحالية بتفرعاتها ، كما رسم البحيرات التى كانت تفيض إليها . وكان ثانيهما هو پلينى الكبير أحد مؤرخى الحضارة الرومانية والذى وصف حضارة عاد بأنها لم يكن يدانيها فى زمانها حضارة أخرى .

وتمثل فترة الأمطار الغزيرة الأخيرة فى شبه الجزيرة العربية ، فى خلال الخمسة وثلاثين ألف سنة الماضية نهايات العصر الجليدى الأخير الذى عم الأرض خلال المليونى سنة الأخيرة فى دورات متتالية من زحف الجليد وانحساره تركت بصماتها واضحة على أشكال سطح الأرض الحالية بصفة عامة ، وفى نصفها الشمالى بصفة خاصة ، وقد أحصى العلماء من تلك الدورات عشرين دورة استغرقت كل منها حوالى المائة ألف سنة ، كان نصفها دورات زحف جليدى تخللتها عشر من دورات انحسار هذا الزحف الجليدى ، ونعيش اليوم فى نهاية آخر دورة من دورات هذا الانحسار الجليدى ، ويبشر العلماء ببداية دورة جليدية جديدة قريبا إن شاء الله (تعالى) ، وقد بدأت شواهد هذا تظهر بالفعل فى أيامنا ولولا التلوث البيئى لشاهدناه فى حياتنا .

وليس دخول الأرض فى دورة من دورات زحف الجليد على اليابسة بالأمر المستغرب فقد حدث فى تاريخ الأرض الطويل عدة مرات ، ولا تزال آثاره مدونة بدقة فائقة فى صخور الأرض منها اثنتان فى أحقاب ما قبل الكمبرى إحداهما فى حدود بليونى سنة

مضت ، والأخرى منذ ستمائة مليون سنة مضت ، واثنتان فى صخور حقب الحياة القديمة أولاهما فى حدود ٤٠٠ إلى ٤٤٠ مليون سنة مضت (العصر الأوردوفيشى- السيليورى) والأخرى فى حدود ٢٥٠ - ٣٠٠ مليون سنة مضت (العصران الكربونى والپرمى) وقد تركت الأولى آثارها على الثلث الشمالى من الجزيرة العربية ، وكان زحف الجليد فيها قادما من شمال إفريقيا ، وتركت الثانية آثارها على ثلثها الجنوبى ، وكان الزحف الجليدى فيها قادمًا من شبه القارة الهندية التى كانت فى ذلك الوقت موجودة فى جنوب الجزيرة العربية وملتحمة معها ومع كل من القارات الإفريقية ، والأسترالية ، والأمريكية الجنوبية مكونة قارة عظمى واحدة أطلق عليها العلماء اسم «جُنْدُوَانا» .

هذه الحقائق لم يتوصل الإنسان إلى معرفتها إلا فى العقود المتأخرة من القرن العشرين ، وإشارة المصطفى ﷺ إليها فى حديثه الكريم «**تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا**» مما يشهد له بالنبوة وبالرسالة ، وبأنه (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) كان موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قبل خالق السماوات والأرض ، فصلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداه ، ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

الحديث الثامن

«طلوع الشمس من مغربها»

أخرج الإمام البخارى (رضي الله عنه) فى صحيحه (كتاب تفسير القرآن) قال :

● حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا عُمَارَةُ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَاكَ (حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ)** » .

روى الإمام مسلم (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ أنه قال فى العلامات الكبرى للساعة : «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها أو الدابة على الناس ضحى فأيتها كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها**» .

وكان أعداء الإسلام من الدهريين عربًا وعجمًا ومستشرقين يستبعدون طلوع الشمس من مغربها قائلين إن الشمس منذ أن أدركها الإنسان وهى تطلعُ عليه من المشرق وتغيب فى المغرب ، وكانوا لا يتخيلون قوة على وجه الأرض يمكنها إحداث مثل ذلك التغيير الهائل فى شروق الشمس وغروبها .

ولكن منذ سنوات قليلة بدأ علماء الأرض فى استقراء مناخات

الأرض القديمة فى الأزمنة الغابرة كما هى مدونة فى جذوع النباتات ، وفى هياكل الحيوانات ، وفى رسوبيات كتل الجليد التى زحفت على اليابسة من قطبى الأرض ، ومن قمم الجبال ، وفى مختلف أنواع الرسوبيات البحرية والقارية ، وفى بقية صخور الأرض وما تحتويه من بقايا الحياة خاصة حبوب اللقاح الخاصة بالنباتات والتى تحفظ بأعداد هائلة فى جميع الرسوبيات والصخور الرسوبية ، وتكثر بشكل واضح فى رسوبيات البحيرات ودالات الأنهار وشواطئ البحار ، وكثيرًا ما يقطع تلك الرسوبيات أسطح جفاف انحسرت عنها المياه لتراجع البحار أو ندرة الأمطار وتحتفظ تلك الأسطح بمعادن تعكس صورة كاملة عن تركيب كل من الغلافين الغازى والمائى المحيطين بالأرض ، ودرجة حرارة كل منهما ، ودرجة حموضته . وكل من الحلقات السنوية فى سيقان النباتات ، وخطوط النمو فى هياكل الحيوانات تمثل سجلا رائعًا للتغيرات المناخية التى تدون فورًا وبدقة بالغة فى كل منهما .

وفى دراسة حديثة للتغيرات المناخية كما هى مدونة على الحلقات السنوية فى جذوع النباتات اتضح أن كل حلقة من تلك الحلقات السنوية مكونة من أعداد كثيرة من الحلقات تمثل الفصول المناخية الأربعة (الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء) وشهور السنة الاثنى عشر ، وهى شهور قمرية ، وعدد الأسابيع فى كل شهر قمرى ، والأيام السبع من كل أسبوع ، والليل والنهار فى كل يوم .

وفى غمار هذا البحث لاحظ الدارسون زيادة عدد أيام السنة مع

زيادة تقادمها ، وأدركوا أن التفسير الوحيد لتلك الزيادة فى عدد أيام السنة مع تقادم الزمن هو تزايد سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ، هذه السرعة التى تزيد من عدد كل من الأيام والأسابيع فى السنة ، وتقصر من طول اليوم (بليله ونهاره) . مع بقاء عدد الفصول والشهور فى السنة ثابتًا .

وبرسم أعداد كبيرة من منحنيات الدالة على عدد أيام السنة فى العصور الجيولوجية المختلفة وبمد ذلك إلى تاريخ الأرض اتضح أن عدد أيام السنة عند بدء خلق الأرض كان أكثر من ألفين ومائتى يوم ، وأن طول الليل والنهار معًا كان أقل من أربع ساعات ، ويعجب الإنسان من وجود إشارة قرآنية مبهرة إلى تلك الحقيقة الكونيَّة الثابتة من قبل ألف وأربعمائة من السنين ، والإنسان لم يصل إلى إدراك شىء منها إلا فى العقود المتأخرة من القرن العشرين ، وفى ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى) : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا** ﴾ (الأعراف : ٥٤)

وقد ثبت هذا التناقص المستمر فى سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس من دراسة خطوط النمو فى هياكل العديد من الحيوانات مثل الشعاب المرجانية القديمة ، وبقاياها فى صخور العصور الجيولوجية المختلفة ، وقد فسر هذا التناقص المستمر فى سرعة دوران الأرض حول محورها بالاحتكاك الناتج عن عملية المد والجذر ، وهبوب الرياح فى الاتجاه المعاكس لاتجاه الدوران ، وكلاهما يعمل عمل الكابح (الفرامل) الذى يبطئ من سرعة دوران الأرض

حول محورها جزءاً من الثانية فى كل قرن من الزمن .

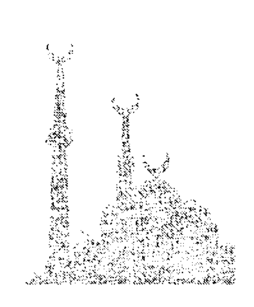
وبرسم منحنيات مستقبلية لعملية تباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها اتضح أنه لابد لتلك العملية من أن تجبر الأرض على تغيير اتجاه دورانها الحالى (من الغرب إلى الشرق فتبدو الشمس طالعة من الشرق ، وغائبة فى الغرب) إلى أن تدور بعكس اتجاهها الحالى فيصبح دورانها من الشرق إلى الغرب فتطلع الشمس من مغربها وهذا من العلامات الكبرى للساعة ومن نبوءات المصطفى ﷺ التى كان كثير من أعداء الإسلام يستبعدون حدوثها ، فإذا بالعلوم الكونية تثبت إمكانية بل حتمية وقوعها . . . !!!

وهنا يلزم التنبيه إلى أن الآخرة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا ، ولكن من رحمة الله بنا أن يبقى لنا فى سنن الدنيا وشواهدها المادية ما يؤكد على إمكانية حدوث الآخرة بكل مقدماتها وعلاماتها والظواهر المصاحبة لها ، فلا يجوز لعاقل أن يتصور إمكانية حساب وقت طلوع الشمس من مغربها بواسطة معرفة معدلات تباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها ، لأن وقوع الآخرة أمر إلهى لا يحتاج إلى سنن أو ظواهر أو تباطؤ فى معدلات حركة الأرض ، وصدق الله العظيم إذ يقول محدثًا خاتم أنبيائه ورسله ﷺ :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً

يسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : ١٨٧)

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين الذى أخبرنا عن حتمية طلوع الشمس من مغربها كإحدى العلامات الكبرى للساعة ، وذلك من قبل ألف وأربعمائة سنة ، ثم تأتى العلوم الكونية باستقراء ذلك حقيقة مدونة فى أحافير الحيوانات والنباتات ، وهياكل الأحياء منها ، وذلك منذ عشرات قليلة من السنين ، ولا يمكن لعاقل أن يتخيل مصدرًا لتلك المعلومة الكونية المستقبلية من قبل أربعة عشر قرنًا غير وحى الله الخالق الذى أنعم الله تعالى به على خاتم أنبيائه ورسله ، وخيرته من خلقه سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين) ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الحديث التاسع

«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»

(صحيح مسلم: باب الفتن)

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب الفتن وأشراط الساعة) قال :

● حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى** » .

وأخرج أيضا قوله :

● حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى** » .

فى هذا الحديث الشريف إشارة علمية دقيقة إلى حقيقة من حقائق أرض الحجاز لم تدرك إلا فى منتصف القرن العشرين حين بدئ فى رسم الخريطة الجيولوجية لأرض شبه الجزيرة العربية ، وكان من نتائج ذلك إثبات انتشار الطفوح البركانية على طول الساحل الغربى لجزيرة العرب من عدن جنوبًا إلى المرتفعات السورية شمالاً ، عبر كل من الحجاز والأردن ، وفلسطين ، مغطية مساحة من تلك الطفوح تقدر بحوالى مائة وثمانين ألفًا (١٨٠,٠٠٠ كم٢) من الكيلومترات المربعة ، ومكونة واحدًا من أهم أقاليم النشاط البركانى الحديث فى العالم ، ويقع نصف هذه المساحة تقريبًا فى أرض الحجاز (حوالى تسعين ألفًا من الكيلومترات المربعة) موزعة فى ثلاثة عشر حقلاً بركانيا تعرف باسم الحرات ، وأغلب هذه الحرات تمتد بطول الساحل الشرقى للبحر الأحمر ممتدة فى داخل أرض الحجاز بعمق يتراوح بين ١٥٠ ، ٢٠٠ كيلومترا ، ويعتقد بأن هذه الطفوح البركانية قد تدفقت عبر عدد من الصدوع الموازية لاتجاه البحر الأحمر ، ومن فوهات مئات من البراكين المنتشرة فى غربى الحجاز ، كما يعتقد بأن تلك الصدوع والبراكين لاتزال نشطة منذ نشأتها وإلى يومنا الحاضر ، وأنها قد سببت العديد من الهزات الأرضية ، كما تم مشاهدة تصاعد أعمدة من الغازات والأبخرة الحارة من عدد من تلك الفوهات البركانية التى لا تزال نشطة حتى اليوم .

والحرات الثلاث عشرة المنتشرة فى أرض الحجاز هى من الجنوب إلى الشمال : حرة السراة ، البرك ، البقوم ، النواصف ، هادان ، الكشب ، رهط ، حلة أبو نار ، خيبر ، إشارة ، العويرض ،

الشامة والحماد ، بالإضافة إلى عدد آخر من الحرات الصغيرة فى مساحاتها .

وتقع المدينة المنورة (على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم) بين حرة رهط فى الجنوب ، وحرة خيبر فى الشمال ، وتمتد حرة رهط من جنوب المدينة المنورة شمالاً ، إلى وادى فاطمة بالقرب من مكة المكرمة جنوبًا عبر مسافة تقدر بحوالى ٣١٠ كيلو مترات فى الطول ، وستين كيلومترًا فى متوسط العرض لتغطى مساحة تقدر بحوالى ١٩٨٣٠ كيلومترًا مربعًا ، وبسمك متوسط يقدر بحوالى المائة متر وإن كان يصل إلى أربعمائة متر فى بعض الأماكن .

ويوجد فى حرة رهط وحدها أكثر من سبعمائة فوهة بركانية ، ويعتبر الجزء الشمالى من حرة رهط الذى يقع إلى الجنوب من المدينة المنورة مباشرة من أكثر أجزاء تلك الحرة نشاطًا لأنه قد شهد أكثر من ثلاث عشرة ثورة بركانية وتدفقًا للحمم خلال الخمسة آلاف سنة الماضية (بمتوسط ثورة بركانية واحدة كل أربعمائة سنة تقريبًا) منها ثورة سنة ٢١ هجرية (٦٤٤ ميلادية) ، وثورة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ ميلادية) واللتان سُبِقَتَا بعدد من الهزات الأرضية العنيفة وأصوات الانفجارات الشديدة .

وقد كونت الثورة البركانية الأخيرة (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م) ستة مخاريط بركانية جديدة ، ودفعت بطفوحها لمسافة زادت على ثلاثة وعشرين كيلو مترًا من الشمال إلى الجنوب ، وامتدت حتى الطرف الجنوبى لموقع مطار المدينة المنورة الحالى ، ثم تحولت إلى الشمال لطفًا بأهل المدينة ، وكرامة لساكنها بعد أن أصاب الناس كثير من الذعر والهلع بسببها .

ويوجد فى حرة خيبر أكثر من أربعمائة فوهة بركانية تضم عددًا من أحدث تلك الفوهات عمرًا وأكثرها نشاطًا ، فقد تم تسجيل أكثر من ثلاثمائة هزة أرضية خفيفة ، حول إحدى تلك الفوهات البركانية فى سنة من السنوات القليلة الماضية (سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ، مما يوحى بتحرك الصهارة الصخرية تحت ذلك المخروط ويهدد بإمكانية انفجاره بثورة بركانية عارمة فى أية لحظة من الآن .

وتشير الدراسات العلمية التى أجريت على منطقة الحجاز إلى أن الثورات البركانية التى كونت حرة رهط قد بدأت منذ عشرة ملايين من السنين على الأقل ، وأنها تميزت بتتابع عدد من الثورات البركانية التى تخللتها فترات من الهدوء النسبى ، ونحن نحيا اليوم فى ظل إحدى هذه الفترات الهادئة نسبيا .

ومعنى هذا الكلام أن المنطقة مقبلة حتما على فترة من الثورات البركانية تندفع فيها الحمم من تلك الفوهات والصدوع كما اندفعت من قبل بملايين الأطنان فتملأ المنطقة نارًا ونورًا تصديقًا لنبوءة المصطفى ﷺ التى قال فيها :

«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضىء أعناق الإبل ببصرى» .

وبصرى مدينة فى جنوب بلاد الشام (سوريا) .

كذلك فإن حرة خيبر تعتبر أكبر هضبة بركانية فى أرض الحجاز ، حيث تغطى قرابة العشرين ألف كيلو متر مربع ، بسمك يتراوح بين الخمسمائة والألف متر ، وتمثل هذه الحرة عدة طفوح

بركانية متتالية ، يتركز أحدثها فى وسط الحرة حيث تنتشر غالبية الفوهات البركانية الحديثة فى حزام يمتد بطول ثمانين كيلومترا موازيا لاتجاه البحر الأحمر ، وبعرض ١٥ كيلومترا فى المتوسط .

وقد تم تسجيل زلزالين كبيرين وقعا فى حرة خيبر ، أحدهما فى سنة ٤٦٠ هـ ، والآخر فى سنة ٦٥٤ هـ ، وقد سبقت الزلزال الأخير أصوات انفجارات عالية ، تلتها ثورة بركانية كبيرة ، وصاحبتها هزات أرضية استمرت بمعدل عشر هزات يوميا لمدة خمسة إلى ستة أيام قدرت شدة أكبرها بخمس درجات ونصف الدرجة على مقياس ريختر ، وقد كونت هذه الثورة البركانية الأخيرة عددا من المخاريط البركانية ، ودفعت بملايين الأطنان من الحمم فى اتجاه الجنوب ، ولا تزال تلك المخاريط تتعرض لأعداد كبيرة من الرجفات الاهتزازية الخفيفة التى توحى بأن الصهارات الصخرية تحت المخروط البركانى لاتزال نشطة ، مما يؤكد حتمية وقوع ثورات بركانية عارمة تخرج من أرض الحجاز فى المستقبل الذى لا يعلمه إلا الله ، وذلك تصديقا لنبوءة النبى الخاتم ، والرسول الخاتم ﷺ وشهادة له بالنبوة وبالرسالة وبأنه (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) كان موصولا بالوحى ، ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض .

الحديث العاشر

«العيافة، والطيرة، والطرق، من الجبت»

روى الإمام البخارى فى صحيحه (كتاب الفتن)

عن قبيصة بن المخارق (رضي الله عنه) أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«العِيَافة ، والطيَرَةُ ، والطَّرْقُ ، من الجبت» .

وروى الإمام أبو داود فى مسنده (كتاب الكهانة والتطير) ـ والحديث حسن الإسناد ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «العِيَافة ، والطيَرَةُ والطَّرْقُ ، من الجبت»

و «العيافة» هى الخط ؛ و «الطيرة» هى التشاؤم ؛ و«الطَّرْقُ» هو الضرب وهو الزجر ، أى زجر الطير بقصد التيمن أو التشاؤم باتجاه طيرانه ، فإن طار إلى جهة اليمين تيمن الزاجر واستبشر ، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم وانقبض .

و«الجبت» كلمة تطلق على كل ما عُبد من دون الله ، أو كل مطاع فى معصية الله ، وأصل «الجبت» هو «الجبس» وهو من المتبخرات الهشة التى لا سير فيها ، فأبدلت التاء من السين ، ولذلك تطلق لفظة «الجبت» على الشيطان ، كما تطلق على الصنم ، والكاهن ، والساحر وعلى السحر ذاته ، وعلى كل باطل يصرف العبد عن التوحيد الخالص لله ، ويدخله فى دائرة الشرك

أو الكفر بالله ، والكلمة واضحة الدلالة فى هذا الحديث الشريف على الشرك بالله (أعاذنا الله تعالى منه) .

وفى رواية أخرى للإمام أبى داود قال :

● حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا عَوفٌ حَدَّثَنَا حَيَّانُ قَالَ غَيْر مُسَدَّد : حَيَانُ بْنُ الْعَلاءِ قال : حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ عَن أَبيه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «**الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِن الجِبْتِ**» . **الطَّرْقُ : الزَّجْرُ ؛ وَالْعِيَافَةُ : الخطُّ** .

وكل من «العيافة» و «الطيرة» و «الطرق» انصراف عن التوكل الكامل على الله ، ولجوء إلى استشراف الغيب . . . خوفًا منه ، وحذرا من مفاجأته ، وهو من الأمور المنهى عنها شرعًا ، ولذلك يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من أتى عرافًا فسأله عن شىء ، فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**» (رواه مسلم فى صحيحه) ، وفى رواية أخرى : «**من أتى عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ » . وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من اقتبس علمًا من النجوم ، اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**» .

(رواه أبو داود بإسناد صحيح) .

والمقصود بعلم النجوم هنا هو التنجيم ، والتنجيم خرافة لا أساس لها من العلم ، أما علوم الفلك ، ودراسة النجوم وغيرها من أجرام السماء بالملاحظة والاستنتاج ، أو بالتجربة والملاحظة والاستنتاج فهو أمر مرغوب فيه ، ومندوب إليه ، ومؤكد عليه ، وهو من فروض الكفاية التى لايجوز للأمة أن تتخلف عنها بجملتها .

ولتأكيد هذا المعنى نذكر هذا الحديث، عن معاوية بن الحكم السلمى (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله، إنى حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله (تعالى) بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان؟

قال ﷺ: **«فلا تأتهم»**، قال: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: **«ذاك شىء يجدونه فى صدورهم، فلا يصدنهم»** قال: قلت: ومنا رجال يخطون؟ قال: **«كان نبى من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه، فذاك»**.

- (صحيح مسلم كتاب الإيمان)

● حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى يَعْنِي ابْنَ سَعِيد عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِع عَنْ صَفِيَّةَ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»**.

(صحيح مسلم كتاب السلام)

● حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيد عَنْ عَوْف قَالَ حَدَّثَنَا خلاسٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالحسَنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد ﷺ»** (مسند الإمام أحمد) ـ وفى سنن أبى داود كتاب الكهانة والتطير ـ.

● حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُسَدَّدٌ المعْنَى قَالاَ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ عُبَيْد اللَّه بْن الأَخْنَس عَنْ الْوَلِيد بْن عَبْد اللَّه عَنْ يُوسُفَ بْن مَاهَكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النبى ﷺ: **«مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُوم اقْتَبَسَ شُعْبَةً منَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ»**.

- وفى (صحيح مسلم كتاب السلام):

● حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالا : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ : قلت : يا رَسُولَ اللَّه أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . كُنَّا نَأْتِي الكُهَّانَ . قَالَ : «فَلا تَأْتُوا الْكُهَّانَ . قَالَ : قُلْتُ : كُنَّا نَتَطَيَّرُ . قَالَ : ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِه فَلا يَصُدَّنَّكُمْ» .

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِع حَدَّثَنِي حُجَيْنٌ يَعْنِي ابْنَ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْد قَالا : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْب وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِع أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ عِيسَى أَخْبَرَنَا مَالِكٌ كُلُّهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَاد مِثْلَ مَعْنَى حَدِيث يُونُسَ غَيْرَ أَنَّ مَالِكًا فِي حَدِيثِه ذَكَرَ الطِّيَرَةَ وَلَيْسَ فِيه ذِكْرُ الْكُهَّانِ . وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ عُلَيَّةَ عَنِ حَجَّاجِ الصَّوَّاف وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ كِلاهُمَا عَنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِير عَنْ هِلالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيث الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ مُعَاوِيَةَ وَزَادَ فِي حَدِيث يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِير قَالَ : قُلْتُ : وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ قَالَ : كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ .

ـ وروى مسلم أيضا عن عائشة رضى الله عنها فى (كتاب السلام) .

● حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْد أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ يَحْيَى بْن عُرْوَةَ بْن الزُّبَيْر عَنْ أَبيه عَنْ عَائشَةَ قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله إنَّ الْكُهَّانَ كَانُوا يُحَدِّثُونَنَا بالشَّيْء فَنَجِدُهُ حَقًا . قَالَ : «**تلْكَ الْكَلمَةُ الحقُّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ وَيَزِيدُ فِيهَا مِائَةَ كَذبة**» .

● وعن أم المؤمنين عائشة (رضى الله تبارك وتعالى عنها) قالت :

سَأَلَ رَسْولَ الله ﷺ أُناسٌ عن الكهان ، فقال : «**ليس بشىء**» فقالوا : يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحيانا بشىء فيكون حقا؟ فقال رسول الله ﷺ : «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى ، فيقرُّها فى أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة**» .(صحيح البخارى كتاب الطب)

(وفى صحيح البخارى كتاب الأنبياء) :

● حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَر عَنْ مُحَمَّد بْنِ عَبْد الرَّحْمَنِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائشَةَ رَضِيَ الله عَنهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ الْملائكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ منْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**» .

● حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنِ الْمُغِيرَةِ عَنِ

إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ قَدِمْتُ الشَّأْمَ فَقُلْتُ مَنْ هَا هُنَا قَالُوا أَبُو الدَّرْدَاءِ قَالَ : أَفِيكُمْ الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ مِنْ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُغِيرَةَ وَقَالَ الَّذِي أَجَارَهُ الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ يَعْنِي عَمَّارًا قَالَ : وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلالٍ أَنَّ أَبَا الأَسْوَدِ أَخْبَرَهُ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «المَلائِكَةُ تَتَحَدَّثُ فِي الْعَنَانِ (وَالْعَنَانُ : الْغَمَامُ) بِالأَمْرِ يَكُونُ فِي الأَرْضِ فَتَسْمَعُ الشَّيَاطِينُ الْكَلِمَةَ فَتَقُرُّهَا فِي أُذُنِ الْكَاهِنِ كَمَا تُقَرُّ الْقَارُورَةُ فَيَزِيدُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ» .

● وفى رواية للبخارى عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الملائكة تنزل فى العنان -وهو السحاب- فتذكر الأمر قضى فى السماء ، فتسترق الشياطين السمع ، فتسمعه ، فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم» . (صحيح البخارى كتاب الأنبياء)

وهذا كله يأتى انطلاقا من قول الحق (تبارك وتعالى) :

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾

(الجن ٦ - ٩)

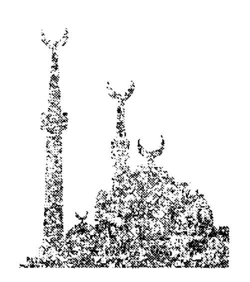
وتأتى المعارف الحديثة كلها متطابقة مع كلام الله (سبحانه وتعالى) ومع أحاديث رسول الله ﷺ فتثبت أن كلاً من العيافة، والطيرة، والطرق، والكهانة، والتنجيم، وقراءة الطالع خرافات لا أساس لها من الصحة، وأن الخط إذا كان بعيدًا عن كلام الله تعالى، وعن هدى رسوله ﷺ هو أيضا من الخرافات التى لا يلجأ إليها إلا أصحاب النفوس المريضة، والأفهام السقيمة، وللتدليل على ذلك نعرض لعملية التنجيم وهى الادعاء الباطل بأن للأبراج السماوية التى يولد فى ظلها الإنسان تأثيرًا على شخصيته وسلوكه، وهو ادعاء لا أساس له من الصحة، أولاً للمسافات الشاسعة الفاصلة بيننا وبين النجوم المكونة لبرج من تلك الأبراج، وثانيًا لأن تلك النجوم تبدو لنا من فوق سطح الأرض كتكوين واحد يوحى بهيئة محددة وهى فى الحقيقة قد يكون كل نجم منها منطويا فى تجمع مختلف من المجرات أو التجمعات المجرية المتباعدة، وثالثًا لأن هذه المسافات الشاسعة التى تفصل بيننا وبين تلك النجوم تضعف من تأثيرها على الأرض ككل، فضلا عن طفل منزو فى لفافته، فى غرفة من غرف أحد البيوت المتناثرة فى ركن من أركان الأرض . . . !!!

ولطالما استخدمت هذه المجالات الغيبية عبر تاريخ البشرية فى ابتزاز البسطاء السذج والجهلة من البشر وإدخالهم فى دهاليز من الظلمة والحيرة والضلال . . . ومن هنا كان تحذير المصطفى ﷺ من كل ذلك، خاصة وأن شياطين الإنس والجن لم يتوقفوا لحظة عن تطوير محاولاتهم لإرهاق البسطاء من الناس بأنماط متجددة من

تلك الضلالات التى تنشر فى كافة وسائل الإعلام المعاصرة من قراءة للطالع، للتنبؤ بالمستقبل، وقراءة لكلّ من الكف والفنجان. وفتح بورق اللعب، وتنويم مغناطيسى، وادعاء بمعرفة الهندسة الداخلية للنفس الإنسانية، وبالقدرة على إعادة برمجتها، إلى غير ذلك من الأمور الغيبية التى نهانا رسولنا ﷺ عن الخوض فيها من قبل ألف وأربعمائة من السنين مما يؤكد على وصف القرآن الكريم له بالخلق العظيم، وبأنه لا ينطق عن الهوى.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾

[النجم: ٣، ٤]



الحديث الحادى عشر

«لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا»

هذا الحديث الشريف رواه ابن ماجه فى (كتاب الفتن) على النحو التالى :

● حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ الدِّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو أَيُّوبَ عَنِ ابْنِ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ : «يَا مَعْشَرَ المهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِى أَسْلافِهِم الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ

مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ» .

(سنن ابن ماجه : كتاب الفتن ، باب العقوبات)

الفاحشة هى الكبيرة من المنكرات القبيحة ، المتناهية فى القبح من مثل الزنا واللواط وغير ذلك من السلوكيات الشاذة المنافية للفطرة السليمة ، والمتعلقة بسوء استخدام الجسد الإنسانى وهو أمانة من الله (تعالى) لكل فرد منا ، حتى يسترد الله أمانته .

والجسد الإنسانى له كرامة مستمدة من كرامة الإنسان الذى قال فيه ربنا (تبارك وتعالى) :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٠)

ومن هنا كان تكريم جسد الإنسان حيا وميتًا ، وكان التشديد فى الأمر بالمحافظة عليه والنهى عن الإساءة إليه بسوء استخدامه أو إهانته وإهدار كرامته ، لأن فى إهدار كرامة الجسد قضاء على كرامة صاحبه- وهو موقف يتنافى تمامًا مع مقام التكريم الذى رفع الله (تعالى) إليه الإنسان .

من هنا كان تحذير القرآن الكريم من مجرد الاقتراب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وكانت أحاديث رسولنا ﷺ ومنها الحديث الذى نحن بصدده ، وقد جاء يدق أجراس الخطر من إشاعة الفاحشة فى المجتمعات إلى حد الإعلان بها ، وما يستوجبه ذلك من عقاب

الله العاجل بالأمراض والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم . . ولقد صدقت الأحداث نبوءة المصطفى ﷺ .

فبعد أن استباحت الحركة الصهيونية العالمية نشر الفواحش فى المجتمعات الإنسانية من أجل تدميرها ، والهيمنة عليها ، ابتداء بالزنا ، واللواط ، ونكاح المحرمات ، مرورًا بالخمر والميسر والمخدرات ، وانتهاء بالتشريع للشذوذ الجنسى بمختلف صوره الشنيعة فيصر كل من المجالس التشريعية (مثل مجلس العموم البريطانى والكونجرس الأمريكى والعديد من المجالس الأوربية) وقادة الكنيسة الغربية على الإقرار بحق الشواذ فى ممارسة أفعالهم الفاحشة والمنافية للفطرة بحماية القانون ، دون أن ينتقص ذلك من حقوقهم شيئًا إلى حد أن يرث بعضهم بعضًا بحق الفاحشة الممارسة بينهم ، وأن ينالوا كل ما تناله الأسرة العادية من حقوق ، ورعاية ، وحماية من الدولة وتشريعاتها وقوانينها ، بل ويجدون من علماء النفس والطب النفسى والوراثة مايبرر لهم فواحشهم . . .!!! فأصبحوا اليوم يعلنون عن أنفسهم ، ويخرجون بأعداد كبيرة فى مسيرات ومظاهرات مهينة لكرامة الإنسان ، وجارحة لأنظار المشاهدين ، فى غير حياء ولا خجل ، بل بتباه بالفحش الفاضح . . .!!!

وقد شجعت المجاهرة بالفحش مزيدًا من الأفراد على الانضمام إلى ركبهم الشيطانى ، وفيهم الوزراء ، والمديرون ، والأطباء ، والمهندسون وأساتذة الجامعات ، والمدرسون ورؤساء المعابد اليهودية والكنائس المسيحية* وغيرهم من القيادات السياسية والاجتماعية

* هناك كنائس عديدة فى الولايات المتحدة الأمريكية للشواذ تحمل عناوين مقززة من مثل :
- **Christ Church For Homosexuals.**
- **Christ Church For Lesbians.**

والدينية والتعليمية والعلمية ، وأصبحت لهم الأجهزة الإعلامية التى تدافع عن انحرافاتهم ، وتشرع لشذوذهم ، وتطالب لهم بمزيد من الحقوق ، وتحارب كل من ينتقد أعمالهم المشينة ، أو يحاول إصلاحهم ، وإخراجهم من الوحل الذى يعيشون فيه ، وأصبحت لهم جمعياتهم ، وروابطهم ، ونواديهم - ومحافلهم التى يعلنون عنها بلا خجل . . .!! والتى تجمع فيها هؤلاء الملوثين ، الدنسين القذرين من شياطين الإنس ، الذين خالفوا الفطرة التى فطرهم الله (تعالى) عليها فانحطوا بأنفسهم إلى ما هو أدنى من مستوى الحيوانية التى تعف عن انحطاطاتهم فعاقبهم الله (تعالى) بأمراض نقص المناعة المكتسبة من مثل مرض الإيدز وهو لم يكن معروفًا من قبل بين أفراد البشر- كما أهلك قوم لوط من قبل بعقاب لم يعرفه سابقوهم .

ومن أمراض نقص المناعة المكتسبة مرض الإيدز- والإيبولا وغيرهما .

ومرض الإيدز الذى يعرف باسم «سرطان الشواذ» أو باسم «طاعون القرن العشرين»-[AIDS or Acquired Immuno-Deficiency Syndrome] هو مرض جديد على الإنسان ، بمعنى أنه لم يصب به إنسان من قبل حيث إنه يتسبب عن واحد من الفيروسات غير المعروفة ولكنه يشبه فى هيئته عددًا من الفيروسات المعروفة بإصابتها للحيوانات فقط وليس الإنسان وإن كانت غير متطابقة معها وراثيا وعلى ذلك فإن إصابة الإنسان بهذا المرض اللعين فى زمن الفوضى الجنسية التى يعيشها الناس اليوم تؤكد أن انتشار هذا

الفيروس الجديد هو عقاب من الله (تعالى) ، فقد بدأ هذا الفيروس فى اجتياح عالم الرذيلة فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨م ، وفى خلال ثلاث سنوات أى : إلى مطلع عام ١٩٨١م كان عدد المصابين المعروفين بهذا المرض فى حدود العشرات ، وقد تعدى عددهم الآن عشرات الملايين فى المجتمعات الإباحية بجميع دول العالم ، وفى مقدمتها دول الغرب التى تدعى أنها دول متقدمة ومتحضرة ، ودول وسط وجنوب إفريقيا المتخلفة ، وسبب ذلك الانحلال فى الحالتين هو البعد عن الدين الصحيح . . .!!

فقد وصل عدد المصابين بأمراض نقص المناعة فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها إلى أكثر من عشرة ملايين ، وفى أستراليا إلى أكثر من المليون .

وفيروس الإيدز هو أحد أفراد مجموعة فيروسات الحمى الراشحة ، وهو فيروس يختزن فى جسم المصاب به مدى الحياة ، ويتتبع كريات الدم البيضاء المدافعة عن جسم الإنسان فيدمرها الواحدة تلو الأخرى حتى يفقد هذا الجسم أهم وسائل الدفاع الطبيعية ، ويبقيه عاجزًا كل العجز عن الدفاع عن نفسه ، وعرضة للإصابة بأنواع عديدة من الأمراض الخبيثة حتى يقضى عليه بالموت بعد معاناة وآلام مبرحة لفترات قد تطول أو تقصر ، وذلك لانهيار جهاز المناعة فى الجسم بالكامل ، وهو جهاز الدفاع الرئيسى فى الجسم السليم .

هذا بالإضافة إلى الأمراض الجنسية الملازمة لممارسة الفاحشة

وهى أيضا أمراض مصاحبة بآلام مبرحة للغاية . ولم تتمكن شركات الأدوية بعد من اكتشاف عقاقير يمكنها القضاء على فيروس الإيدز ، وكل ما أمكنها إنتاجه هو عدد من المسكنات لبعض أعراض المرض المؤلمة جدا ، وهذه المسكنات مقززة فى شكلها ومظهرها ومذاقها .

وصدق رسول الله ﷺ حين قال قولته الشريفة : «**لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا**» .

ويأتى العلم التجريبى ، وتأتى الأحداث لتؤكد صدق هذا الحديث النبوى الشريف الذى نطق به المصطفى (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) من قبل ألف وأربعمائة سنة ، والبشرية لم تدرك حقيقة ذلك إلا فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين- وهذا من الأدلة القاطعة على صدق نبوة هذا النبى الخاتم والرسول الخاتم ، الذى كان موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قِبل خالق السماوات والأرض . فصلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

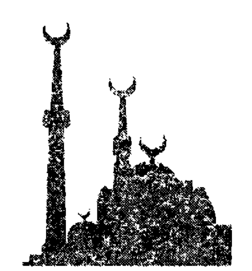
وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ (الإسراء : ٣٢)

وإذ يقول :

﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ**

مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف ٨٠ - ٨٤)



الحديث الثانى عشر

«كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب»

فى عدد من الأحاديث النبوية الشريفة جاء ذكر «عَجْب الذنب» على أنه الأصل الذى يخلق منه جسم الإنسان عند تكوين الجنين، والذى يبقى بعد وفاته، وفناء جسده ليبعث منه من جديد. وقد أكد المصطفى ﷺ أن جسد الإنسان يبلى كله فيما عدا «عجب الذنب»، فإذا أراد الله (تعالى) بعث الناس أنزل ماءً خاصا من السماء فينبت كل فرد من عجب ذنبه كما تنبت البقلة من بذرتها.

● ومن هذه الأحاديث العديدة: روى أبو هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قوله:

(١) «كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب» (البخارى، أبو داود، النسائى، أحمد، ابن ماجه، ابن حبان، مالك).

(٢) وفى رواية لأبى سعيد الخدرى (رضي الله عنه) مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ أنه قال:

«يأكل التراب كل شىء من الإنسان إلا عجب ذنبه، قيل وما هو يا رسول الله؟ قال: مثل حبة خردل منه تنشأون» وهى رواية ابن أبى حاتم.

(٣) وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة نصا مثله . جاء فيه : «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب» .

(٤) وفى لفظ آخر له جاء هذا النص : «وليس من الإنسان شىء إلا يبلى إلا عظما واحدًا هو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» .

(٥) وفى لفظ ثالث لمسلم جاء هذا النص : «إن فى الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبدًا ، فيه يركب يوم القيامة . قالوا : أى عظم هو يا رسول الله؟ قال : عجب الذنب» .

(٦) وفى لفظ رابع لمسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ما بين النفختين أربعون» قالوا : يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون شهرًا؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون سنة؟ قال : أبيت . قال : «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون ، كما ينبت البقل» . قال : «وليس من الإنسان شىء إلا يبلى ، إلا عظمًا واحدًا ، وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» .

ومعنى «أبيت» فى كلام أبى هريرة هو : أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يومًا ، أو شهرًا ، أو سنة ، بل الذى أجزم به أنها أربعون مجملة ، وقد جاءت أربعون سنة مفصلة فى قول للنووى (رحمه الله) .

فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب الفتن وأشراط الساعة) قال :

• و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد : حَدَّثَنَا المغيرَةُ يَعْنِي الحِزَامِيَّ ، عَنِ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الأَعْرَجِ ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ» .

وروى الإمام النسائى فى سننه (كتاب الجنائز) قال :

• أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ عَنِ مَالِكٍ وَمُغِيرَةُ عَنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «كُلُّ بَنِي آدَمَ ـ وَفِي حَدِيثِ مُغِيرَةَ ـ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ» .

وأضاف الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب الفتن وأشراط الساعة)

• حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِع حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ فِي الإِنْسَانِ عَظْمًا لا تَأْكُلُهُ الأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالُوا : أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : عَجْبُ الذَّنَبِ»

وأضاف فى صحيحه (كتاب الفتن وأشراط الساعة)

• حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

«مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَال : أَبَيْتُ قَالُوا : أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ : أَبَيْتُ قَالُوا : أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَال : أَبَيْتُ . ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ قَالَ : وَلَيْسَ مِنَ الإنْسَانِ شَيْءٌ إلا يَبْلَى إلا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

كذلك روى الإمام أبو داود فى سننه (كتاب السنة) فقال :

● حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ عَنِ مَالِك ، عَنِ أَبِي الزِّنَاد ، عَنِ الأَعْرَج ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الأَرْضُ إلا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»

وذكر كذلك :

● حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَفْص أَخْبَرَنَا وَرْقَاءُ عَنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ الأَرْضُ إلا عَجْبَ الذَّنَبِ فَإِنَّهُ مِنْهُ خُلِقَ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ» .

وقال أيضًا :

● حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنِ ابْنِ عَجْلانَ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَبْلَى وَيَأْكُلُهُ التُّرَابُ إلا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ» .

وقال أيضا :

● حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُجَمِّع أَبُو الْمُنْذِرِ الْكِنْدِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ

الْهَجَرِيُّ عَنْ أَبِي عِيَاضٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَبْلَى كُلُّ عَظْمٍ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ وَفِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

وروى الإمام مالك فى الموطأ (كتاب الجنائز) قال:

● وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِك عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ الأَرْضُ إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»

وروى الإمام البخارى فى صحيحه (كتاب تفسير القرآن) قال:

● حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قال: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قال: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ قال: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قال: ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلا يَبْلَى، إِلا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وهذه الأحاديث النبوية الشريفة تحتوى على حقيقة علمية لم تتوصل العلوم المكتسبة إلى معرفتها إلا منذ سنوات قليلة، حين أثبت المتخصصون فى علم الأجنة كما أشار الأخ الدكتور/ محمد على البار (فى بحث مستفيض) أن جسد الإنسان ينشأ من شريط دقيق للغاية يسمى باسم «الشريط الأولى

أو الابتدائى» الذى يتخلق بقدرة الخالق (سبحانه وتعالى) فى اليوم الخامس عشر من تلقيح البويضة وانغراسها فى جدار الرحم ، وإثر ظهوره يتشكل الجنين بطبقاته الثلاث التى يتخلق من كل منها كل أعضاء الجسم وأولها الجهاز العصبى وبدايات تكون العمود الفقرى ؛ لأن هذا الشريط الدقيق قد أعطاه الله (تعالى) القدرة على تحفيز الخلايا للانقسام ، والتخصص ، والتمايز ، والتجمع فى أنسجة متخصصة ، وأعضاء متكاملة تتعاون على القيام بجميع وظائف الجسد .

وثبت أن هذا الشريط الأولى يتراجع حتى يندفن فى أصل العصعص فى نهاية العمود الفقرى ، وهو المقصود بعَجْبِ الذنب فى أحاديث رسول الله ﷺ (وجمعه : أعجاب) .

وإذا مات الإنسان ، يبلى جسده كله إلا «عجب الذنب» الذى تذكر أحاديث رسول الله ﷺ أن الإنسان يعاد خلقه منه ، بنزول مطر خاص من السماء ، ينزله ربنا (تبارك وتعالى) وقت أن يشاء فينبت كل مخلوق من عجب ذنبه ، كما تنبت النبتة من بذرتها .

وواضح الأمر أن بلى الأجساد حكم عام يستثنى منه أجساد كل من الأنبياء والشهداء وكل مؤذن محتسب كما ذكر ابن حجر انطلاقًا من أحاديث رسول الله ﷺ

«منه خلق»:

لقد أوضح علم الأجنة فى العقود المتأخرة من القرن العشرين أن خلق الجنين يبدأ بالنطفة الأمشاج «أى المختلطة من منى الزوج

وبويضة الزوجة» التى تعرف باسم اللقيحة **Zygote** ، التى تبدأ فى الانقسامات المتضاعفة حتى تصبح مثل التوتة وتعرف بالفعل باسم التوتية **Morula** ، ثم بعد ذلك تأخذ شكل الكرة ، ويصير لها جوف محتوٍ على سائل خاص ، ولذا تعرف باسم الكرة الجرثومية **Blastula** التى تبدأ بالانغراس فى جدار الرحم فى اليوم السادس أو السابع من بدء عملية التلقيح لتتعلق به «العلقة» وتتغذى على ما يتوافر لها فى جدار الرحم من دماء وإفرازات ، وتتمايز إلى طبقتين من الخلايا ؛ خارجية تقوم بقضم جدار الرحم وتثبيت الكرة الجرثومية فيه ؛ وداخلية يتكون منها الجنين بمشيئة الله ، وهذه الطبقة الداخلية تنقسم بدورها إلى طبقتين : خارجية وداخلية ، وتظهر الطبقة الأخيرة فى اليوم الثامن من التلقيح .

وفى اليوم الخامس عشر من عمر الجنين يظهر فى أحد أطراف الطبقة العلوية خيط دقيق يحدد مؤخرة الجنين من مقدمته ، وهذا الخيط يعرف باسم الخيط البدائى أو الأولى **The Primary or Primitive Streak** وهذا الخيط له بداية صغيرة جدا ومنتفخة قليلا فى وسط قرص الجنين تعرف باسم العقدة البدائية أو الأولية **The Primitive or Primary Node** ومنذ لحظة ظهوره يبدأ الشريط الأولى فى الانقسام والتكاثر بسرعة فائقة ، وتهاجر خلاياه الجديدة لتكوين طبقة متوسطة بين الطبقتين الخارجية والداخلية .

ومن الشريط الأولى يتكون الجهاز العصبى للجنين على هيئة بدايات الحبل الظهرى وسالفة العمود الفقرى ، ثم يبدأ الجنين فى تكوين جميع أعضاء جسمه بالتدريج من طبقاته الثلاث :

الخارجية والوسطى والداخلية ، ومن كل واحدة منها عدد من أعضاء الجسم بخلاياه وأنسجته المتخصصة فى عملية تعرف باسم عملية تكون المُعَيْدَات «تصغير معدة» أو **Gastrulation** ، وأول هذه الأجهزة تكونًا هو «محور الرأس ـ العصعص» الذى يتكون فيه بدايات الجهاز العصبى المركزى بما فى ذلك من بدايات المخ ، والجمجمة ، والحبل العصبى الظهرى والعمود الفقرى ، وبذلك تتكون جميع أجهزة جسم الجنين من الخيط والعقدة البدائيين ، وتصدق نبوءة المصطفى ﷺ فى قوله الشريف عن عجب الذنب «منه خلق» . وبعد تمام تكون جميع أجهزة الجنين يتراجع الخيط والعقدة البدائيان «الأوليان» بالتدريج إلى مؤخرة جسم الجنين الكامل حتى يستقرا فى نهاية العمود الفقرى فى منطقة العصعص حيث يبقيان على هيئة جنين كامن «مثل جنين بذرة النبات» يعاد تركيب جسم الإنسان منه فى يوم البعث بإنزال مطر خاص من السماء كما أخبر بذلك خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ .

ومن الثابت أنه إذا لم يتكون الشريط الابتدائى فى الطبقة الخارجية من جسم الجنين البالغ أسبوعين من العمر فإن أعضاء جسمه لا تتكون ، وهذا مما يصدق قول رسول الله ﷺ :

«منه خلق» ، وذلك يتم فى الخطوات التالية :

١ ـ يمتد الحبل الظهرى من العقدة البدائية إلى جهة الرأس .

٢ ـ تخلق بدايات الجهاز العصبى من الطبقة الخارجية للجنين فى نهاية الأسبوع الثالث من عمر الجنين على هيئة الصفيحة العصبية **Neural Plate** التى تمتد من جهة الرأس إلى الشريط الأولى ، وتستطيل هذه الصفيحة وتنثنى مكونة ما يعرف بالثنيات

العصبية Neural Folds التى تكون المنخفضات منها ما يعرف باسم الميزاب العصبى Neural Groove الذى سرعان ما يلتف ليقفل مكونًا ما يعرف باسم الأنبوبة العصبية Neural Tube ، تقفل الفتحة الأمامية لها فى اليوم الخامس والعشرين ، وتقفل الفتحة الخلفية بعد ذلك بيومين «أى فى اليوم السابع والعشرين من عمر الجنين» ، وبقفل الأنبوب العصبى تشكل أغلبيته دماغ الجنين بينما يشكل الجزء الخلفى منه النخاع الشوكى .

ويتكون الدماغ من الثلثين العلويين للأنبوب العصبى ، بينما يتكون النخاع الشوكى من ثلثه الأخير ، وتكون الكتل البدنية الأربع الأولى جزءاً من قاع الجمجمة .

٣ ـ تتكثف الطبقة الوسطى من جسم الجنين حول محور الرأس- العصعص للجنين مكونة الكتل البدنية Somites ، والتى يتشكل منها كل من العمود الفقرى وبقية الهيكل العظمى والعضلات ، كما يخرج منها بدايات الأطراف العليا والسفلى .

ومن ذلك يتضح بجلاء أن مرحلة تكون الأعضاء لا تبدأ إلا بعد تكون الشريط الأولى (فى نهاية الأسبوع الثانى من عمر الجنين) ، ويتبعه تكون الميزاب العصبى والكتل البدنية وذلك يستغرق إلى بداية الأسبوع الرابع ، ويبدأ التعضى من الأسبوع الرابع إلى نهاية الأسبوع الثامن حيث يكون الجنين قد استكمل جميع أجهزته الأساسية ، ولم يبق له إلا بعض التفصيلات الدقيقة والنمو ، وبنهاية الأسبوع الرابع يبدأ الشريط الأولى فى التراجع إلى نهاية العمود الفقرى «العصعص» فى انتظار لحظة البعث .

«وفيه يُرَكّبُ»:

في تجارب مكررة أثبت العالم الألماني هانز سپيمان Hans Spemann ومشاركوه (١٩٣١ ـ ١٩٣٥م) أن كلا من الخيط والعقدة البدائيين «عجب الذنب» هما المسئولان عن تخليق جميع أجهزة الجنين ولذلك سموهما باسم المنظم الأولي أو الأساسي The Primary Organizer وتأكدوا من ذلك بقطع هذا المنظم الأولي «عجب الذنب» من عدد من الزواحف، وبزرعه في أجنة أخرى نما على هيئة جنين ثانوي في داخل الجنين المضيف .

كذلك قام هذا الفريق من العلماء بسحق المنظم الأولي وبغليه في درجات حرارة مرتفعة ولفترات طويلة ثم زرع كل من عجب الذنب المسحوق والمغلي في أجنة أخرى فنما وكون محورًا جنينيا ثانويا رغم سحقه وغليه mygdi مما أكد لهم أن خلايا هذا المنظم الأولي «عجب الذنب» لا تفنى أبدًا بالسحق ولا بالغلي . وقد منح سپيمان جائزة نوبل سنة ١٩٣٥م على اكتشافاته العلمية المثيرة وهو لا يعلم بحديث رسول الله ﷺ .

وفي رمضان ١٤٢٤هـ قام الدكتور عثمان جيلان ومعاونوه بتجربة مماثلة في اليمن أحرقوا فيها خمسة من عصاعص الأغنام باستخدام مسدس غاز لمدة عشر دقائق حتى تفحمت واحمرت من شدة الحرارة، ثم بدراستها تبين أن خلاياها لم تتأثر بالإحراق، وبقيت حية تصديقًا لنبوءة المصطفى ﷺ أن عجب الذنب هو الأصل الذي ينشأ منه جسم جنين الإنسان، ثم ينحسر على هيئة حبة الخردل في نهاية العمود الفقري للإنسان «نهاية العصعص»،

والتى تبقى بعد أن يموت ويتحلل جسده ، فيبعث منها يوم القيامة بعد إنزال مطر خاص من السماء فينبت منها كما تنبت البقلة من بذرتها ، وكذلك كل مخلوق ينبت يوم البعث من عجب ذنبه ؛ لأن هذا الجزء الدقيق من كل جسد حى لا يبلى أبدًا ، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال : «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب**» .

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مهم مؤداه : لماذا تعرض المصطفى ﷺ لقضية علمية غيبية كهذه فى زمن لم يكن لمخلوق علم بها؟

ومن أين جاء هذا النبى الخاتم ، والرسول الخاتم ﷺ بهذا العلم لو لم يكن موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قِبل خالق السماوات والأرض؟

وللإجابة عن ذلك نقول بأن الله (تعالى) يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سوف يصل فى يوم من الأيام إلى معرفة مراحل الجنين ، وسوف يستبين دور «الشريط الأولى» الذى من بقاياه «عجب الذنب» فى تخليق جسد الجنين ، فألهم خاتم أنبيائه ورسله النطق بهذه الحقيقة ليبقى فيها من الشهادات على صدق نبوته ، وصدق رسالته ، وصدق تلقيه عن الخالق (سبحانه وتعالى) ما يبقى دائما لكل زمان ولكل عصر ، ولما كان زماننا قد تميز بقدر من الكشوف العلمية ، والتطورات التقنية التى لم تتوفر -فيما نعلم- لزمن من الأزمنة السابقة ، فإن مثل هذه الإشارات العلمية فى كل من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ تبقى لغة العصر وخطابه ، وأسلوب

الدعوة إلى دين الله الخاتم الذى لا يرتضى من عباده دينًا سواه ، فلا يمكن لعاقل أن يتصور مصدرًا لهذه الحقيقة العلمية من قبل ألف وأربعمائة سنة غير وحى صادق من الله الخالق . . .!! فسبحان الذى خلق فأبدع ، وعلم فعلم ، وأوحى إلى خاتم أنبيائه ورسله بالحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداه . ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

الحديث الثالث عشر

«صوموا تصحوا»

روى الطبرانى (رحمه الله) عن أبى هريره (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «صوموا تصحوا»، وبالنظر إلى الأحاديث النبوية الكثيرة، والأحاديث القدسية الشريفة، والآيات القرآنية العديدة التى جاءت فى فضل الصيام، تخيل كثير من الناس أن فوائد الصيام مقصورة على الجوانب التعبديه، وانعكاساتها الروحية والعاطفية ولكن ثبت بالعديد من الدراسات المستفيضة أن للصيام فوائد صحية عديدة لخصها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فى لفظة واحدة : «تصحوا».

وقد أظهرت نتائج تلك الدراسات أن الأداء البدنى للصائم من طلوع الفجر الصادق إلى الغروب أفضل من أداء غير الصائم لتحسن درجة تحمل البدن للمجهودات العضلية، وتحسن أداء كل من القلب وبقية الجهاز الدورى والجهاز الهضمى والجهاز التنفسى وغيرها أثناء الصيام، ومن هنا كانت قلة الشعور بالإجهاد، وتحمل مالا يمكن للفرد تحمله فى ساعات الإفطار العادية، وذلك لاختلاف مصدر الطاقة فى الجسم بين الصائم والمفطر، أما إذا زادت مدة الصيام عن المتوسط الذى شرعه الإسلام (١١ - ١٤ ساعة تقريبًا) فإن الأداء البدنى والعضلى يبدأ فى التأثر، ويبدأ الصائم فى الشعور بالإعياء .

فمن المعروف أن الصوم يسبب انصهار الدهون فى الجسم مما يؤدى إلى زيادة فى الأحماض الدهنية الحرة فى الدم ، فتصبح هذه الأحماض هى المصدر الرئيسى لطاقة الصائم بدلاً من الجلوكوز فى حالة المفطر ، وهذا يساعد على تقليل استهلاك مادة «الجليكومين» فى كل من العضلات والكبد أثناء بذل الجهد من قبل الصائم ، ويساعد كذلك فى ضبط مستوى سكر الجلوكوز فى الدم ، والذى يؤدى نقصه إلى الشعور الكامل بالإعياء . ولما كان مستوى سكر الجلوكوز فى دم المفطر هو المصدر الرئيسى لطاقته ،كان جهده المبذول يشعره بإعياء أكبر مما يشعر به الصائم إذا قام بنفس المجهود ، تحت نفس الظروف .

بالإضافة إلى ذلك فإن حالة الرضا النفسى للصائم ، وارتفاع معنوياته ، لشعوره بالقرب من خالقه (سبحانه وتعالى) ، ولإحساسه بالقيام بعبادة من أشرف العبادات ، فى شهر يعتبر أفضل شهور السنة على الإطلاق ، وأكثرها بركة ، ورحمة ، ومغفرة وعتقًا من النار كل ذلك يؤدى إلى زيادة واضحة فى داخل جسم الإنسان لعدد من الهرمونات النافعة من مثل مجموعة «الأندروفين» التى يعزى إليها تحسن الأداء البدنى ، وقلة الشعور بالإعياء أو الإجهاد ، فما أحكم من شرع الصيام ، وما أصدق مقولة الرسول الخاتم «صوموا تصحوا» كذلك فإنه لمن البديهات أن توقف الإنسان عن متابعة نظامه اليومى فى تناول وجبات الطعام لفترة محددة فى شكل عام يؤدى إلى راحة أجهزة الجسم ، الذى يبدأ خلال فترة الصيام فى التخلص مما تراكم فيه على مدار السنة

من دهون ، وشحوم ، وفضلات ، وسموم ، وفيروسات وطفيليات ، وغيرها ، وهى من الأمور المهلكة لصحة الإنسان إذا تراكمت فى داخل جسده بكميات كبيرة ، ومن هنا كانت ضرورة التخلص منها بين فترة وأخرى ، وأفضل وسيلة لذلك هى الصيام . من هنا شرع ربنا (تبارك وتعالى) لنا الصيام فى شهر رمضان ، وجعله أحد أركان الإسلام ، كما شرع لنا نبينا ﷺ **«صوم التطوع»** ، و«صوم الكفارات» و «صوم النذر» على مدار السنة ، وكان ﷺ من المواظبين على صيام التطوع ، وأوصى أمته بالصوم ، ووصفه بأنه عبادة من أعظم العبادات لله ، ووسيلة من وسائل المحافظة على صحة الأبدان ، وسلامة الأرواح ، وطهارة النفوس فقال : «**صوموا تصحوا**» .

وحذر رسول الله ﷺ من الإسراف فى كل شىء وبخاصة فى تناول الطعام والشراب ، ووضع لذلك دستورًا من الآداب والسلوكيات التى نصح بها أمته ، وأثبتت الدراسات العلمية دقتها ، وصحتها ، وشموليتها .

والسؤال الذى يفرض نفسه . كيف عرف رسول الله ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة أن فى الصيام صحة للأبدان؟

ومن الذى كان يضطره إلى إصدار حكم كهذا فى هذا الزمن المتقدم؟ لولا أن الله (تعالى) قد علَّمه ذلك ، وأنطقه إياه ، ولولا أنه (سبحانه وتعالى) يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سيصل فى يوم من الأيام إلى إدراك تلك الحقيقة العلمية ، فتبقى هذه الومضة المبهرة التى سبقت فى حديث رسول الله ﷺ شاهد صدق على

أن هذا النبى الخاتم والرسول الخاتم الذى نطق بهذا الحق كان دومًا موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قبل خالق السماوات والأرض الذى وصفه (تعالى) بقوله : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ (النجم : ٣ - ١٠)

من هنا كانت ضرورة الاهتمام بالإشارات العلمية فى كتاب الله ، وفى سنة رسوله ﷺ وفهمها فى ضوء الحقائق العلمية المتاحة ، وتقديمها لأهل العصر دليلا ماديا قاطعًا (لايمكن لعاقل أن يرفضه) على صدق نبوة ورسالة هذا النبى الخاتم ﷺ ، وفى ذلك نجاة لنا ولهم ، وفلاح فى الدنيا والآخرة ، فى زمن اختلطت فيه المفاهيم ، وزاغت فيه القلوب والأبصار ، وتراجع أهل الحق وعلا أهل الباطل ، وبقى الناس حيرى فى عالم تقاربت فيه المسافات ، وتصارعت الحضارات ، وتعارضت المعتقدات ، وآن لأهل الحق أن يظهروه ، وأن يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، بخطاب العصر ولغته : الخطاب العلمى ، لعل الله (تعالى) أن يجعل فى ذلك حقنًا للدماء التى تسفك فى كل يوم ، ونهاية للحروب التى تشتعل فى كل مكان ، ووقفا للمظالم التى تجتاح الإنسان فى أغلب بقاع الأرض ، وما ذلك على الله بعزيز ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا .

الحديث الرابع عشر

«ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»

هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه (كتاب الإيمان) حيث قال :

● حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «الحلالُ بَيِّنٌ والحرَامُ بيِّنٌ وبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ منَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقى المشبَّهات اسْتَبْرَأَ لدينه وَعِرْضِه وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كراعٍ يرْعى حوْل الحمى يُوشكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلا إِنَّ حِمى اللهِ فِي أَرْضِه محَارِمُهُ أَلا وَإِنَّ فِي الجسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ» .

والحديث أخرجه أيضا الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب المساقاة) حيث قال :

● حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى

أُذُنَيْهِ «إِنَّ الحلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ أَلا وَإِنَّ فِي الجسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ» .
وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ . وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ قَالا حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُطَرِّفٍ وَأَبِي فَرْوَةَ الهَمْدَانِيِّ وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ عَنِ ابْنِ عَجْلانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ كُلُّهُمْ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الحدِيثِ غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَ زَكَرِيَّا أَتَمُّ مِنْ حَدِيثِهِمْ وَأَكْثَرُ .

حَدَّثَنَا عَبْدُ الملكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي هِلالٍ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ نُعْمَانَ بْنَ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ بِحِمْصَ وَهُوَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «الحلالُ بَيِّنٌ وَالحرَامُ بَيِّنٌ» فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ زَكَرِيَّا عَنِ الشَّعْبِيِّ إِلَى قَوْلِهِ : «يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ» .

والحديث رواه كذلك الإمام ابن ماجه فى سننه (كتاب الفتن) حيث قال :

● حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ رَافِع حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ المبَارَكِ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ عَلَى المنْبَرِ وَأَهْوَى بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ : «الحلالُ بَيِّنٌ وَالحرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحرَامِ كَالرَّاعِي حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلا وَإِنَّ حِمَى الله مَحَارِمُهُ أَلا وَإِنَّ فِي الجسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ» .

ورواه الإمام أحمد فى مسنده حيث قال :

● وَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ الحلالَ بَيِّنٌ وَالحرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ فيه لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَاقَعَهَا وَاقَعَ الحرَامَ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى الله مَا حَرَّمَ أَلا وَإِنَّ فِي الإِنْسَانِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كُلُّهُ أَلا

وَهِيَ الْقَلْبُ» . حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا قَالَ : سَمِعْتُ عَامِرًا يَقُولُ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَثَلُ المؤمِنِينَ . . . . فَذَكَرَ الحَدِيثَ»

وذكره أيضا الإمام أحمد فى مسنده فقال :

● حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مُجَالِدٍ حَدَّثَنَا الشَّعْبِيُّ سَمِعَهُ مِنَ النُّعْمَانِ ابْنِ بَشِيرٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَكُنْتُ إِذَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ظَنَنْتُ أَنْ لا أَسْمَعَ أَحَدًا عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ فِي الإِنْسَانِ مُضْغَةً إِذَا سَلِمَتْ وَصَحَّتْ سَلِمَ سَائِرُ الجَسَدِ وَصَحَّ وَإِذَا سَقِمَتْ سَقِمَ سَائِرُ الجَسَدِ وَفَسَدَ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ» .

والحديث رواه أيضا الإمام الدارمى فى سننه (كتاب البيوع) فقال :

● أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْم حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «الحَلالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُتَشَابِهَاتٌ لايَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى فَيُوشِكُ أَنْ

يُوَاقِعَهُ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ» (متفق عليه)

فى هذا الحديث الشريف لمحة من لمحات الإعجاز العلمى إذ إن أى مرض يصيب القلب فيفسده ، يؤثر على سائر الجسد فيفسد ؛ وذلك لأن القلب يقوم بضخ الدم غير النقى (غير المؤكسد) من البطين الأيمن إلى الرئتين حيث ينقى بأكسدته ، ويعود الدم المؤكسد النقى من الرئتين إلى البطين الأيسر الذى يضخه إلى كل أجزاء الجسم ، فيمد تريليونات الخلايا المكونة لجسم الإنسان بغاز الأوكسيجين والغذاء ، وإذا اضطربت هذه الوظيفة أو اختلت وفسدت وصل هذا الفساد إلى سائر خلايا الجسد .

ويعجب القارئ لحديث رسول الله الذى يصف هذه الحقيقة بدقة فائقة فيقول ﷺ : «**ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب**» ، وهى حقيقة طبية لم يدركها علم الإنسان المكتسب حتى قام ابن النفيس باكتشاف الدورة الدموية الصغرى فى القرن الهجرى السابع (الثالث عشر الميلادى) ، وظلت فكرته مطمورة منسية لأكثر من ثلاثة قرون حين حاول بعض الغربيين نسبتها لأنفسهم فأحيوها ، وطوروها ، وأضافوا إليها ، وأصبح من الثابت علميا أن القلب إذا صلح استقامت الدورة الدموية وصلح الجسد كله ، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله . يفيد بكل هذا الحديث

الشريف وهنا نتساءل : من علَّم هذا النبى الأمى ذلك غير الله الخالق؟! ومَنْ كان يستطيع فى الجزيرة العربية أن يلم بالدورة الدموية فى جسم الإنسان ، ودور القلب فيها قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان ، لو لم يكن مصدر ذلك وحى السماء؟ ومَنْ الذى كان يضطر سيدنا محمدًا ﷺ إلى الخوض فى مثل هذه الأمور الغيبية فى زمانه ، لو لم يكن واثقًا من صحة المعلومة الموحى بها إليه ، وواثقًا من مصدرها؟

هذا بالنسبة للقلب العضوى ، تلك العضلة الكمثرية الشكل الموجودة فى القفص الصدرى ، التى لا يزيد حجمها على حجم قبضة اليد ، ولايزيد وزنها فى الفرد البالغ على ثلث كيلوجرام ، وتقوم بحوالى سبعين نبضة فى الدقيقة ، أى حوالى مائة ألف نبضة فى اليوم الواحد ، لتضخ خمسة لترات من الدم فى كل دقيقة ، ٧٢٠٠ لتر فى اليوم الواحد عبر شبكة معقدة من الشرايين والأوردة والشعيرات الدموية يبلغ طولها آلاف الكيلومترات ؛ لتوصل الدم المؤكسد إلى كل خلية حية فى الجسم ، وتنزع منها الدم غير المؤكسد .

ومعروف لنا اليوم أنه مادام القلب صالحًا استقامت الدورة الدموية ، ونالت كل خلية حية فى الجسد حظها من الدم الذى يحمل لها الغذاء والأوكسيجين ، وبه يتم احتراق المواد الغذائية وانطلاق الطاقة ، وإذا فسد القلب اختلت الدورة الدموية ، واختل وصول الغذاء والأوكسيجين إلى خلايا الجسم فيفسد .

ولكن للقلب فى كتاب الله ، وفى سنة رسوله ﷺ ، وفى

مفاهيم كثير من الناس مدلول غير تلك الكتلة من اللحم الرابضة فى القفص الصدرى تضخ الدم إلى جميع خلايا الجسم ، وهو مدلول يتعلق بالعواطف ، والمفاهيم ، والأفكار ، والعقائد ، والفهم وركائز الأخلاق وضوابط السلوك ، وهى قضايا ليس مقرها القلب العضلى وإن ارتبطت به بصورة لم يدركها الإنسان بعد ، ويراها المفكرون من أمثال الإمام الغزالى فى كيان معنوى ، أو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب العضوى تعلق لا تدرك كنهه ، ويرى الغزالى أن هذا القلب المعنوى هو حقيقة الإنسان ، وهو الكيان المدرك ، العالم ، العارف من الإنسان ، وهو المخاطب ، والمعاقب ، والمعاتب ، والمطالب . . . ، والقلب المعنوى أو اللطيفة الربانية مرتبطة بمعنى الروح وحقيقته وهو سر مغلق . . .!!!

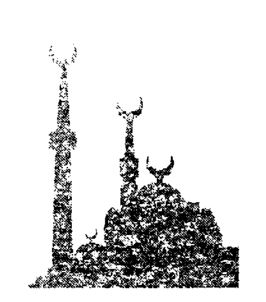
وبهذا المعنى أيضا نرى لمحة إعجازية فى حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده ، فإذا صلح مركز العواطف ، والمفاهيم ، والأفكار ، والعقائد ، وركائز الأخلاق ، وضوابط السلوك ، إذا صلحت حقيقة الإنسان ، المدرك ، العالم ، العارف ، صلح أمره كله ، وإذا فسدت فسد أمره كله . . .!!!

وهنا تتضح لمحة من لمحات الإعجاز فى هذا الحديث النبوى الشريف إذا أخذ على جانبه المادى العضوى الملموس ، وإذا أخذ على جانبه المعنوى الروحانى الغيبى ، فإننا نجده صحيحًا ؛ دقيقًا شاملاً ، فالقلب بمدلوله المادى هو قوام حياة الجسد إذا صلح ؛ صلح الجسد كله ، وإذا فسد ؛ فسد الجسد كله ، والقلب بمدلوله المعنوى قوام العواطف ، والعقائد ، والمفاهيم والأفكار ، وركائز الأخلاق ،

وضوابط السلوك ، فإذا صلح صلحت كل هذه الزوايا وبصلاحها ينصلح الجسد كله . . .!!!

وهنا أيضا يتكرر السؤال : من الذى علَّم هذا النبى الأمى كل هذه الحقائق غير الله الخالق؟

ومَنْ الذى كان يضطره إلى الخوض فى مثل هذه القضايا الغيبية لو لم يكن واثقًا من مصادره ، مؤيدًا من قِبل خالقه الذى يعلم بعلمه اللامحدود أن الإنسان سيصل فى يوم من الأيام إلى إدراك شىء من تلك الحقائق فتكون هذه الإشارات العلمية إلى عدد من حقائق الأنفس والآفاق شهادة صدق على نبوة هذا النبى الخاتم والرسول الخاتم ﷺ ؛ حتى لا يبقى للناس على الله حجة من بعده ، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبع هداه ، ودعا بدعوته إلى يوم الدين والله أكبر ولا حول ولا قوة لنا إلا بالله العلى العظيم .



الحديث الخامس عشر

«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»

(صحيح مسلم)

هذا الحديث الشريف رواه كل من البخارى ، ومسلم ، وأحمد ابن حنبل (رحمهم الله أجمعين) عن النعمان بن بشير (رضى الله عنهما) عن رسول الله ﷺ ، والنص أعلاه لفظ مسلم ، أما لفظ البخارى فهو :

● «ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى» .

ورواية أحمد جاءت بالنص التالى :

● «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» .

وفى بحث علمى دقيق لطبيب مسلم (هو الدكتور ماهر محمد سالم) أوضح جانبًا من جوانب الإعجاز العلمى فى هذا الحديث الشريف لم تدركه العلوم المكتسبة إلا منذ سنوات قليلة ، ومن ذلك أن شكوى العضو المصاب هى شكوى حقيقية ، وليست على سبيل المجاز ، إذ تنطلق فى الحال نبضات عصبية حسية من مكان

الإصابة أو المرض على هيئة استغاثة إلى مراكز الحس والتحكم غير الإرادى فى الدماغ وتنبعث فى الحال أعداد من المواد الكيميائية والهرمونات من العضو المريض بمجرد حدوث ما يتهدد أنسجته وخلاياه وقمع أول قطرة دم تنزف منه ، أو نسيج يتهتك فيه ، أو ميكروب يرسل سمومه إلى أنسجته وخلاياه ، تذهب هذه المواد إلى مناطق مركزية فى المخ ، فيرسل المخ إلى الأعضاء المتحكمة فى عمليات الجسم الحيوية المختلفة أمرًا بإسعاف العضو المصاب وإعانته بما يتلاءم وإصابته ، أو مرضه .

وفى الحال تتداعى تلك الأعضاء المتحكمة فى عمليات الجسد الحيوية المختلفة أى يدعو بعضها بعضًا ، فمراكز الإحساس تدعو مراكز اليقظة والتحكم فى تحت المهاد (فى المخ) ، وهذه تدعو بدورها الغدة النخامية لإفراز الهرمونات التى تدعو باقى الغدد الصماء لإفراز هرموناتها التى تدعو وتحفز جميع أعضاء الجسم لنجدة العضو المشتكى ، فهى شكوى حقيقية ، وتداع حقيقى ، وليس على سبيل المجاز ، ومعنى التداعى هنا أن يتوجه كل جزء فى الجسد بأعلى قدر من طاقته لنجدة المشتكى وإسعافه ، فالقلب - على سبيل المثال- يسرع بالنبض لسرعة تدوير الدم وإيصاله للجزء المصاب ، فى الوقت الذى تتسع فيه الأوعية الدموية المحيطة بهذا العضو المصاب وتنقبض فى بقية الجسم ؛ لتوصل إلى منطقة الإصابة ما تحتاجه من طاقة ، وأوكسيجين ، وأجسام مضادة وهرمونات ، وأحماض أمينية بناءة ؛ لمقاومة الإصابة ؛ والعمل على سرعة التئامها ، وهذه هى خلاصة عمل أعضاء الجسم المختلفة من

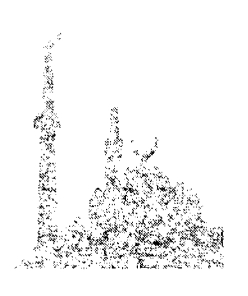
القلب إلى الكبد ، والغدد الصماء ، والعضلات وغيرها ، وهى صورة من صور التعاون الجماعى لا يمكن أن توصف بكلمة أبلغ ولا أشمل ولا أوفى من التداعى .

وهذا التداعى يبلغ درجة من البذل والعطاء عالية ؛ إذ يستدعي من الأعضاء والأجهزة والأنسجة والغدد المتداعية أن تهدم جزءا من مخزونها من الدهون والبروتينات من أجل إغاثة العضو المشتكى ، ويظل هذا السيل من العطاء مستمرًا حتى تتم عملية الإغاثة ، وتتم السيطرة على الإصابة أو المرض ، والتئام الأنسجة والخلايا الجريحة أو المريضة ، حتى يبرأ الجسد كله أو يموت كله .

وهذه الحقائق لم يصل العلم البشرى المكتسب إلى إدراك شىء منها إلا منذ سنوات قليلة ، والسبق النبوى بالإشارة إليها فى هذا الحديث الجامع هو من الشهادات على أنه ﷺ قد أوتى جوامع الكَلِم ، وأنه ﷺ كان موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قِبَل خالق السماوات والأرض ؛ لأنه لا يمكن لعاقل أن يتصور صدورًا لهذا العلم النبوى من غير وحى السماء ، هذا العلم الذى نطق به النبى الأمِّىُّ ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة ، فى أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين ، وفى زمن لم يكن فيه لأى إنسان إلمام بأقل قدر من هذه المعارف العلمية . وإبراز مثل هذه الجوانب العلمية فى أحاديث رسول الله ﷺ ، وفى آى القرآن الذى أوحى إليه هو أنسب أسلوب للدعوة إلى دين الله الخاتم فى زمن النهضة العلمية والتقنية التى يعيشها إنسان اليوم ، زمن المواجهات الحضارية والمقارنات الدينية ، والصراعات السياسية ، والعرقية والدينية

وتقارب المسافات ، وسرعة الاتصالات ، ونحن مطالبون بالتبليغ عن الله وعن رسوله ﷺ الذى أوصانا بقوله الشريف : «**بلغوا عنى ولو آية فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع**» .

فصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله ، يا من آتاك الله القرآن ومثله معه ، وآتاك جوامع الكلم فجاءت أحاديثك الشريفة بهذا السبق العلمى المبهر ، وبهذه الصياغة اللغوية الدقيقة حتى فى مقام التشبيه ، وأنت تدعو أمتك - خير أمة أخرجت للناس- إلى التواد والتراحم والتعاطف - وما أحوجنا إليها اليوم - فتأتى صياغة دعوتك بتشبيه طبى علمى بالغ الدقة والإحكام ، وبالغ الروعة فى البيان ، فصلى الله وسلم وبارك عليك وعلى آلك وصحبك أجمعين ، وجزاك عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء والحمد لله رب العالمين .



الحديث السادس عشر

«لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»

هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه (كتاب الجمعة) فقال :

● حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاةٍ » .

كذلك رواه الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب الطهارة) قائلا :

● حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَمْرو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالُوا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى المؤْمِنِينَ ، وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ » .

من هدى المصطفى ﷺ الحث على استخدام السواك ، مع كل صلاة (أى خمس مرات فى اليوم والليلة على أقل تقدير) ، والسواك (المسواك) هو عود من شجيرة تعرف باسم «الأراك» ، وقد يتخذ من

غيرها من الشجيرات من مثل الزيتون البرى (العُتْم) ، أو من شجيرة السَّمُرْ ، ولكن أفضل السواك ما اتخذ من المدادات الأرضية لشجيرة «الأراك» ، علما بأنه قد يتخذ من فروعها الخضراء وهى أقل جودة من المساويك المتخذة من المدادات الأرضية .

وجمع السواك (سُوُك) بضم الواو ، وجمع المسواك (مساويك) ، ويقال (سَوَّكَ) فاه (تسويكا) أى نظفه باستخدام (المسواك) ، ولكن إذا قيل (تسوَّكَ) أو (استاك) لا يذكر الفم .

وشجيرة الأراك تنمو فى الجزيرة العربية ، وفى غيرها من المناطق الجافة فى كل من غربى آسيا وشمالى إفريقيا ، وهى شجيرة كثيرة الفروع ، مخضرة الأوراق ، باصفرار قليل ، دقيقة الأزهار والثمار ، وتعرف ثمارها باسم (الكباث) ، وهى على هيئة الكرات الصغيرة التى تبدأ حمراء اللون ثم تسود ، وتحتوى على مواد حريفة فاتحة للشهية ، وقد جاءت وصية المصطفى ﷺ بالمواظبة على استخدام السواك فى عدد من أحاديثه الشريفة التى منها ما ذكرناه آنفًا ومنها ما رواه كل من الإمامين النسائى (فى سننه كتاب الطهارة) ، وابن خزيمة فى صحيحه عن ابن عباس (رضى الله عنهما) حيث قالا :

● أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأعْلَى عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ زُرَيْع قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَتِيقٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : سَمِعْتُ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» .

والحديث رواه أيضا الإمام أحمد فى مسنده (العشرة المبشرين بالجنة) حيث قال :

● حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ عَنِ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»

وقد أثبتت الدراسات المختبرية على عود الأراك (السواك) أنه يحتوى على العديد من المركبات الكيميائية التى تحفظ الأسنان من التسوس والتلوث ، وتحفظ اللثة من الالتهابات ، وذلك من مثل حمض التانيك (العَفْص) ، ومركبات كيميائية أخرى من زيت الخردل وسكر العنب لها رائحة حادة ، وطعم لاذع ، وهذه المركبات لها قدرة فائقة فى القضاء على جراثيم الفم ، بالإضافة إلى العديد من المواد العطرية ، والسكرية والصمغية ، والمعدنية ، والشعيرات الطبيعية من الألياف النباتية الحاوية على كربونات الصوديوم ، وهى مادة تستخدم فى تحضير معاجين الأسنان ، وهذه معلومات لم تكن متوافرة فى زمن الوحى ، ولا لقرون من بعده ، والتوجيه من رسول الله ﷺ باستخدام السواك عند كل صلاة ، هو سبق علمى وسلوكى بكل أبعاده ، وحرص على طهارة الفم والأسنان ، ونظافتهما ؛ لأن الفم هو مدخل الطعام إلى الجهاز الهضمى فى جسم الإنسان ، وحينما يمضغ الطعام تبقى منه بقايا عالقة بين الأسنان وباللثة ، وهذه إذا لم تنظف تتعفن ، وتملأ الفم بالفطريات والجراثيم التى قد تكون سببًا فى كثير من الأمراض ، بالإضافة إلى ما تنتجه من روائح كريهة ومنفرة من صاحبها .

من هنا كانت وصية المصطفى ﷺ باستخدام السواك عند كل صلاة لتطهير الفم والأسنان من فضلات الطعام، وتزكية رائحتهما، وحمايتهما، وحماية بقية الجسد الذى يحملهما من الإصابة بالعديد من الأمراض .

وهنا يبرز التساؤل المنطقى : مَنْ الذى أعلَمَ هذا النبى الخاتم بفائدة السواك فيوصى باستخدامه عند كل صلاة، وذلك من قبل ألف وأربعمائة سنة، أى فى زمن لم يكن فيه إدراك لمخاطر تلوث الفم والأسنان ببقايا الطعام؟ ولماذا التوصية «بالأراك» على وجه التخصيص، ولم يكن أحد يعلم شيئًا عن تركيبه الكيميائى حتى عشرات قليلة من السنين التى مضت فى ختام القرن العشرين؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات أقول : إن سبق أحاديث رسول الله ﷺ لكل المعارف المكتسبة بألف وأربعمائة سنة على الأقل بالإشارة إلى فوائد السواك فى تطهير الفم والأسنان لا يمكن لعاقل أن يتصور له مصدرًا غير الله الخالق، وأن التوصية باختيار «الأراك» على وجه الخصوص لا يمكن أن يكون لها مصدر غير الخالق (سبحانه وتعالى) .

وورود هذه الحقيقة العلمية على لسان نبى أمى ﷺ فى أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين لمما يشهد له بالنبوة وبالرسالة .

وإبراز هذه الجوانب العلمية فى أحاديث المصطفى ﷺ وفى الوحى الذى أنزل إليه (القرآن الكريم) هو من أنجح أساليب الدعوة إلى الله فى زمن العلم والتقنية الذى نعيشه، وهو زمن فُتن الناس

فيه بالعلوم ومعطياتها فتنة كبيرة ، ولم تعد قضايا الدين تحرك فى قلوبهم أو عقولهم ساكنًا ، وأصبحوا فى أمس الحاجة إلى أدلة مادية ملموسة تدعوهم إلى الإيمان ببعثة هذا النبى الخاتم ، والرسول الخاتم ﷺ الذى ختمت ببعثته النبوات ، وتكاملت فى رسالته كل الرسالات ، ووصفه ربه (تبارك وتعالى) بأنه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1] ، فصلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداه ، ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .



(١) (النجم : ٣ ، ٤)

الحديث السابع عشر

«ما من عام بأقل مطرا من عام»

أخرج الإمام البيهقى (يرحمه الله) فى السنن الكبرى (الجزء الثالث، ص ٣٦٣ من طبعة الهند) هذا الحديث الشريف الذى رواه ابن مسعود (رضى الله تعالى عنه) عن رسول الله ﷺ ولفظه : «**ما من عام بأقل مطرا من عام**» .

وهذا الحديث الشريف أخرجه الحاكم فى المستدرك (الجزء الثانى، ص ٤٠٣ من طبعة الهند) مرويًا عن ابن عباس (رضى الله عنهما) بلفظ : «**ما من عام بأمطر من عام**» ، ولكن الله يَصْرِفُهُ (أو يُصَرِّفُهُ) ، وعلى الرغم من أن النص الأول موقوف على ابن مسعود ، والنص الثانى موقوف على ابن عباس (رضى الله عنا وعنهم أجمعين) مما دفع ببعض دارسى الحديث إلى تضعيف الرفع لعدم فهم دلالته العلمية ، فإن هذا الحديث الشريف يمثل سبقًا علميًا للمعارف الإنسانية بأكثر من ألف وأربعمائة سنة ، كما يمثل نصًا رائعًا من نصوص الإعجاز العلمى فى أحاديث رسول الله ﷺ ، ومن هنا تأتى قوته ، فقد ثبت لنا بعد دراسات مستفيضة لتقدير كمية الماء على سطح الأرض أنها كمية هائلة إذ تقدر بحوالى ١٣٦٠مليون كيلومتر مكعب ، أغلبها (٩٧,٢٠٪) على هيئة ماء مالح فى البحار والمحيطات ، بينما تتجمع الكمية الباقية

(٢,٨٠٪) على هيئة الماء العذب بأشكاله الثلاثة (الصلبة ، والسائلة ، والغازية) ، منها ٢,١٥٪ من مجموع ماء الأرض على هيئة تراكمات الجليد فوق المنطقتين القطبيتين من الأرض وعلى قمم جبالها ، والماء الباقى وتقدر كميته بحوالى ٠,٦٥٪ من مجموع مياه الأرض يختزن أغلبه فى الطبقات المسامية من صخور القشرة الأرضية على هيئة ماء مخزون تحت سطح الأرض ، تليه فى الكثرة النسبية مياه البحيرات العذبة ، ثم الماء المختزن على هيئة رطوبة فى تربة الأرض ، ويليه بخار الماء فى الغلاف الغازى للأرض (رطوبة الغلاف الغازى) ، ثم المياه الجارية فى الأنهار وتفرعاتها .

والماء يغطى حوالى ٧١٪ من مساحة سطح الأرض المقدرة بحوالى ٥١٠ ملايين كيلومتر مربع ، أى إن مساحة المسطحات المائية فوق الأرض تقدر بحوالى ٣٦١ مليون كيلومتر مربع ، بينما تقدر مساحة اليابسة بحوالى ١٤٩ مليون كيلومتر مربع فقط .

وعلى ذلك فإن معدل البخر من أسطح البحار والمحيطات يقدر بحوالى ٣٢٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب من الماء فى كل عام ، بينما يقدر معدل البخر من اليابسة بحوالى ٦٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب ، وبجمع هذين الرقمين يتضح أن دورة الماء بين الأرض وغلافها الغازى تبلغ ٣٨٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب فى السنة ، وأغلب هذه الكمية يتبخر من المناطق الاستوائية حيث يصل متوسط درجة الحرارة السنوى إلى ٢٥ درجة مئوية

وعندما يتبخر الماء من أسطح كل من البحار والمحيطات واليابسة

الأرضية فإنه يرتفع بفعل قلة كثافته ، وبدفع التيارات الهوائية له إلى النطاق الأسفل من الغلاف الغازى للأرض (نطاق التغيرات المناخية) وهو يتميز بالتبرد مع الارتفاع حتى تصل درجة حرارته إلى ناقص ٦٠ درجة مئوية فوق خط الاستواء ، وفى هذا النطاق البارد يتكثف بخار الماء الصاعد من الأرض ويعود إليها بإذن الله (تعالى) مطرًا أو ثلجًا ، أو بردًا ، أو طلا (على هيئة الشَّبُّورة أو الندى) .

والماء فى عودته إلى الأرض يُصَرِّفُهُ الله (تعالى) بحكمة بالغة حيث يُنزل على اليابسة قدرًا أعلى مما يتبخر من أسطحها (٩٦,٠٠٠ كيلومتر مكعب مقابل ٦٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب مجموع المتبخر منها) ، بينما ينزل على البحار والمحيطات قدرًا أقل عما يتبخر من أسطحها ٢٨٤,٠٠٠(كيلومتر مكعب فى مقابل ٣٢٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب يتبخر منها) ، والفارق بين هذين الرقمين هو نفس الفارق بين كميتى المطر والبخر على اليابسة ، ويقدر بحوالى ٣٦,٠٠٠ كيلومتر مكعب من الماء يفيض من اليابسة إلى البحار والمحيطات فى كل عام بعد أن يكون قد أدى دوره على سطح اليابسة .

ودورة الماء حول الأرض دورة معجزة تشهد لله الخالق بطلاقة القدرة ، وعظيم الصنعة ، وإحكام الخلق ، فكميتها فى مجموعها ثابتة ، ومحسوبة بما يكفى متطلبات الحياة على الأرض ، والدورة ذاتها بين البخر والمطر تعمل على تنقية مياه الأرض التى يحيا ويموت فيها بلايين الأفراد من صور الحياة المختلفة فى كل لحظة ، وهى تعمل على حفظ التوازن الحرارى على سطح

الأرض ، وعلى التقليل من شدة حرارة الشمس فى الصيف ، فتعمل بذلك على تقليل الفرق بين درجتى الحرارة صيفا وشتاء ، وذلك لصون الحياة الأرضية بمختلف أشكالها .

ولما كان مجموع ما يتبخر من ماء الأرض إلى غلافها الغازى ثابتا فى كل عام ، ومجموع ما يحمل هذا الغلاف الغازى من بخار الماء ثابتًا كذلك على مدار السنة ، فإن مجموع ما ينزل من مطر إلى الأرض يبقى ثابتا فى كل سنة ، وإن تباينت كميات سقوطه من مكان إلى آخر حسب مشيئة الله . ويبلغ متوسط سقوط المطر على سطح الأرض اليوم ٨٥,٧ سنتيمتر مكعب فى السنة ، وتتراوح كمياته بين الصفر فى المناطق الصحراوية الجافة والقاحلة و١١,٤٥ متر مكعب فى السنة فى جزر هاواى .

وهذه الملاحظات الدقيقة التى لم يستطع الإنسان الوصول إليها إلا فى أواخر القرن العشرين سبقتها بأربعة عشر قرنًا أو يزيد أحاديث رسول الله ﷺ التى قال فيها : «**ما من عام بأقل مطرًا من عام**» ، وقال ﷺ : «**ما من عام بأمطر من عام ، ولكن الله يَصْرِفُهُ (أو يُصَرِّفُهُ)**» ، وهذه الحقيقة العلمية التى نطق بها خاتم الأنبياء والمرسلين لا يمكن أن يكون لها مصدر إلا وحى السماء ، فصلى الله وسلم وبارك على هذا النبى الخاتم ، والرسول الخاتم وعلى آله وصحبه وعلى كل من تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

الحديث الثامن عشر

«فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام»

هذا الحديث النبوى الشريف رواه البخارى فى صحيحه (كتاب الطب) عن أبى هريرة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام**» والرواية نصها كما يلى:

● حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ وَسَعِيدُ بْنُ المسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**فِي الحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنَ كُلِّ دَاءٍ إِلا السَّامَ**». قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَالسَّامُ: المَوْتُ؛ وَالحَبَّةُ السَّوْدَاءُ: الشُّونِيزُ.

وروى مسلم فى صحيحه (كتاب السلام) هذا الحديث عن أبى هريرة (رضي الله عنه) أيضا بالنص التالى: «**ما من داء إلا وفى الحبة السوداء منه شفاء إلا السام**»، وروى خالد بن سعد عن ابن أبى عتيق عن أم المؤمنين عائشة (رضى الله تعالى عنها) أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام»، قالت: قلت: وما السام؟**».

● حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحِ بْنِ المُهَاجِرِ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ

ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ المسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ فِي **الحبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءً مِنَ كُلِّ دَاءٍ إِلا السَّامَ وَالسَّامُ الموْتُ** » . وَالحبَّةُ السَّوْدَاءُ الشُّونِيزُ وحَدَّثَنِيهِ أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرْمَلَةُ قَالا : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ المسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالُوا : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : وحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ : وحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدالرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ كُلُّهُمْ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ عُقَيْلٍ وَفِي حَدِيثِ سُفْيَانَ وَيُونُسَ الحبَّةُ السَّوْدَاءُ وَلَمْ يَقُلْ الشُّونِيزُ .

وروى مسلم الحديث أيضًا بلفظ ما يلى :

● حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ عَنِ الْعَلاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**مَا مِنَ دَاءٍ إِلا فِي الحبَّةِ السَّوْدَاءِ مِنْهُ شِفَاءٌ إِلا السَّامَ**» .

والحديث رواه الترمذى (كتاب الطب) وقال : حديث حسن صحيح بالرواية التالية :

● حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيُّ قَالا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلا السَّامَ وَالسَّامُ الْمَوْتُ » . قَالَ أَبُو عِيسَى : وَفِي الْبَاب عَنْ بُرَيْدَةَ وَابْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ هِيَ الشُّونِيزُ .

ـ والحديث ذكره أيضا ابن ماجه فى سننه (كتاب الطب) بالنص التالى :

● حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ الْمِصْرِيَّانِ قَالا : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلا السَّامَ وَالسَّامُ الْمَوْتُ » وَالْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ الشُّونِيزُ .

ـ ونفس الحديث رواه أحمد فى مسنده على النحو التالى :

● حَدَّثَنَا يَزِيدُ وَيَعْلَى قَالا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلا السَّامَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا السَّامُ قال ﷺ : «الموت» .

والحبة السوداء ثمرة لنبتة عشبية حولية من الفصيلة الشقيقية، تنمو فى حوض البحر الأبيض المتوسط، وتزرع فى كثير من دول العالم واسمها العلمى (Nigella Sativa) تعرف فى مصر باسم «حبة البركة»، وفى بلاد الشام باسم «القزحة»، وفى اليمن باسم «قحطة»، وفى المغرب باسم «سانوج وسينوج» وباسم «زرارة»، وفى فارس باسم «شونيز أو شينيز» أو باسم «سياه دانه»، كما تعرف باسم «الكمون الأسود» وباسم «الحبة المباركة»، وهى حبة فلقية، سوداء، حريفة تستعمل كأحد التوابل التى تضاف إلى الطعام لتحسين مذاقه.

وقد دفعت قراءة هذه الأحاديث النبوية بعدد من علماء المسلمين وأطبائهم فى القديم والحديث إلى النظر فى إمكانية الاستفادة بهذه الحبة المباركة فى علاج بعض الأمراض باعتبار أن لفظة (شفاء) جاءت فى هذه الأحاديث غير معرفة، فقيل إنها لا تعم كل الشفاء، وإن نسبة الشفاء بها تزيد وتنقص حسب نوع المرض وشدته، ولكن عالمًا مسلمًا من أبناء مصر المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهو (الأستاذ الدكتور أحمد أحمد القاضى) نظر فى هذه الأحاديث المتعلقة بالحبة السوداء نظرة طبية فاحصة فقال: حبة فيها شفاء من كل داء إلا الموت لابد وأن تكون لها علاقة مباشرة بجهاز المناعة فى جسم الإنسان الذى سَخَّره ربنا (تبارك وتعالى) للدفاع عن هذا الجسم، وقام بدراسة تلك العلاقة على عدد من المرضى المصابين بنقص المناعة

المكتسبة ، وأثبت زيادة واضحة فى عدد خلايا الدفاع عن الجسم المسماة باسم خلايا ت ٤ ت ٨ (T4- T8 -Call) مع التناول المنتظم لجرعات مناسبة من الحبة السوداء ، وقام بالفعل بتصنيع كبسولات تحوى كلا من الحبة السوداء ، والثوم وعسل النحل بكميات محسوبة بدقة شديدة سماها باسم الحروف الأولى من اسمى الحبة السوداء والثوم : (Conigar = Combined Nigella Sati-va and Garlic)

ووافقت الأجهزة الرسمية فى الولايات المتحدة الأمريكية على التصريح بإنتاج هذا العقار لثبات أثره الفعال فى علاج أمراض نقص المناعة المكتسبة (الخلقية والعارضة) ، وهى لا توافق عادة على العلاج بالمواد الطبيعية إلا بصعوبة شديدة ، وفى أضيق الحدود الممكنة .

والحبة السوداء قد عرفها كل من قدماء المصريين ، والعرب والفرس ، وذكروا أن لها فوائد جمة فى علاج عدد من الأمراض من مثل أمراض الجهاز التنفسى كالزكام ، والتهاب القصبة والشعب الهوائية ، وأمراض الجهاز البولى/ التناسلى ، وبعض الأمراض الجلدية كالثآليل وتساقط الشعر . وقد ثبت مؤخرًا أن لها دورًا فعالاً فى علاج عدد آخر من الأمراض من مثل الربو ، وارتفاع ضغط الدم ، وأمراض الجهاز الهضمى (كأمراض القولون المزمنة) ، وبعض الأمراض الفيروسية كالالتهاب الكبدى الوبائى ، وغيرها .

ولكن لم يكن أحد فى القديم يتصور أن للحبة السوداء أدنى صلة بالجهاز المناعى فى جسم الإنسان كما أوضحت أحاديث

رسول الله ﷺ ذلك فى قوله الشريف أن فيها شفاء من كل داء إلا الموت .

ولذلك فقد عاش الناس قرونًا طويلة يستخدمون الحبة السوداء كمُحَسّن لطعم المأكولات فقط فأضافوها إلى مختلف أنواع الفطائر ، والمخللات ، إلا أن الاتجاه الحديث يميل إلى استخدامها كعلاج ناجح فى العديد من الأمراض المستعصية . وثبت مؤخرًا أن بذور الحبة السوداء تحتوى على زيوت ثابتة بنسبة ٣٣٪ ، وعلى زيوت طيارة بنسبة ١,٥٪ ، وقد وجد فى زيوتها مادة فعالة فى تقوية جهاز المناعة سميت بالاسم العلمى لحبة البركة (Nigella Sativa) ولذلك أطلقوا عليها اسم (نيجيللون= Nigellone) ، وثبت بالتجارب العديدة أن لمادة (النيجيللون) دورًا فعالاً فى رفع القدرة الدفاعية لجهاز المناعة فى جسم الإنسان ، وهى حقيقة لم تعرفها العلوم المكتسبة إلا فى العقود المتأخرة من القرن العشرين ، وسبق المصطفى ﷺ بالإشارة إليها بهذا الوضوح ، وهذه الدقة العلمية لا يمكن أن يكون لها مصدر إلا وحى السماء ، مما يؤكد على نبوته ورسالته ﷺ ، وعلى صلته الدائمة بالوحى ، وصدق الله العظيم إذ يقول فيه

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ (النجم : ٣-٥)

الحديث التاسع عشر

«كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه مبارك»

ـ هذا الحديث النبوى الشريف رواه الترمذى فى سننه (كتاب الأطعمة) حيث قال :

● حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ» قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ لا نَعْرِفُهُ إِلا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ وَكَانَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ يَضْطَرِبُ فِي رِوَايَةِ هَذَا الحَدِيثِ فَرُبَّمَا ذَكَرَ فِيهِ عَنْ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَرُبَّمَا رَوَاهُ عَلَى الشَّكِّ فَقَالَ أَحْسَبُهُ عَنْ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَرُبَّمَا قَالَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلا حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبَدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ عُمَرَ .

والحديث رواه الترمذى أيضا فى نفس الكتاب (عن أبى أسيد) حيث قال :

حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلانَ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ قَالا : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْن عِيسَى عَنْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ عَطَاءٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَنْ أَبِي أَسِيدٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنَ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ » قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى .

ـ والحديث رواه أيضا ابن ماجه فى سننه (كتاب الأطعمة) عن أبى هريرة حيث قال :

حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ سَعِيدٍ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ» .

ـ والحديث رواه كذلك أحمد فى مسنده حيث قَالَ :

● حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عِيسَى قَالَ حَدَّثَنِي عَطَاءٌ رَجُلٌ كَانَ يَكُونُ بِالسَّاحِلِ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ أَوْ أَبِي أَسِيدِ بْنِ ثَابِتٍ شَكَّ سُفْيَانُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِالزَّيْتِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ» .

ـ ورواه أيضا الدارمى فى سننه (كتاب الأطعمة) .

أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْم حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَطَاءٍ وَلَيْس بِابْنِ أَبِي رَبَاح عَنِ أَبِي أَسِيدٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «كُلُوا الزَّيْتَ وَائْتَدِمُوا بِهِ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ » .

هذا وقد جاء ذكر الزيتون وزيته فى كتاب الله فى سبعة مواضع أقسم ربنا (تبارك وتعالى) فى إحداها ﴿بالتين والزيتون﴾ وهو (تعالى) الغنى عن القسم ، كما أشار القرآن الكريم إلى شجرة الزيتون منكرة فى قول الحق (تبارك وتعالى) : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ﴾ (المؤمنون : ٢٠)

﴿وتنبت بالدهن﴾ أى تنبت ثمارها ملتبسة بالدهن وهو زيت الزيتون ، ﴿وصبغ للآكلين﴾ أى وإدام للآكلين ، سمى صبغًا ؛ لأنه إدام يصبغ الخبز إذا لامسه .

كذلك امتدح القرآن الكريم زيت الزيتون فى مقام التشبيه وذلك بقول الحق (تبارك رتعالى) : ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾

(النور : ٣٥)

وشجرة الزيتون(*) هى شجرة (أو شجيرة) دائمة الخضرة ، تتحمل الجفاف بشكل كبير ، وهى شجرة مُعَمِّرَة ، قد تعيش إلى

(*) الزيتون الشملالى (زيتون سيناء) .

أكثر من ألف سنة ، تنبت أساسًا فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، وإن انتشرت اليوم فى كثير من دول العالم ، خاصة فى كل من آسيا وإفريقيا ، وقد عرفت شجرة الزيتون منذ أقدم الحضارات على أنها من أهم نباتات الزيوت .

وقد ثبت مؤخرًا أن نسبة الأحماض الدهنية فى زيت الزيتون قليلة جدًا ، وأن ما به من دهون هى دهون غير مشبعة ، ولذلك فلها قيمة صحية عالية ؛ لخلوها من المواد المسببة لتصلب الشرايين وتضييقها وانسدادها ، وبالاستقراء والمسح الدقيق تبين أن تناول زيت الزيتون بانتظام يسهم إسهاما فاعلا فى الوقاية من العديد من الأمراض التى منها انسداد شرايين القلب التاجية ، وارتفاع نسبة الدهون الضارة فى الدم ، وارتفاع ضغط الدم ، ومرض البول السكرى ، وبعض الأمراض السرطانية (من مثل سرطانات كل من المعدة ، والقولون ، والثدى ، والرحم ، والجلد) ، كما يقى من قرحات الجهاز الهضمى .

فمن دهون الجسم الرئيسية (الكوليسترول) ، وهو دهن أبيض اللون ، يوجد بتركيز كبير فى كل من المخ ، والحبل الشوكى ، والكبد ، ويتخلق أساسًا فى الكبد ، والأمعاء ، والجلد ليلعب دور الوسيط فى كثير من العمليات الحيوية ، ومن أهمها تخليق كل من فيتامين هـ (E) والعديد من الهرمونات ، ولكن المغالاة فى تناول كميات من اللحوم الحيوانية الدسمة يمكن أن يؤدى إلى زيادة كبيرة فى نسبة (الكوليسترول) فى الجسم ، فيفيض جزء منه إلى الدم مما قد يؤدى إلى انسداد الأوعية الدموية ، أو تضييقها ، كما قد يؤدى إلى تصلب جدرها .

فمن المعروف أن أكسدة (الكوليسترول) من العوامل المساعدة على تصلب الشرايين وتضييقها ، وقد تم اكتشاف أن زيت الزيتون يلعب دورا هامًا فى منع حدوث تلك الأكسدة ، لاحتوائه على (فيتامين هـ) ، وعلى قدر من مركبات الفينولات العديدة (Polyphenolic Compounds) التى تمنع التأكسد الذاتى للزيت ، وتحافظ على ثباته ، كما تمنع أكسدة (الكوليسترول الضار) المعروف بالرمز (LDL) ، وينقى الجسم من أخطار فوق أكاسيد الشحوم (Lipid Peroxides) ، وأخطار غيرها من المواد الضارة .

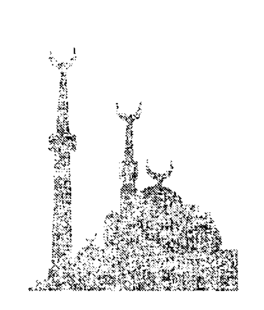
وعلى ذلك فإن تناول زيت الزيتون بانتظام يؤدى إلى خفض المستوى الكلى (للكوليسترول) فى الدم بصفة عامة ، وإلى خفض نسبة الأنواع الضارة منه بصفة خاصة . ويعزى انخفاض نسبة الإصابة بأمراض السرطان فى دول حوض البحر الأبيض المتوسط إلى تناول سكان تلك الدول كميات كبيرة من الزيتون ، وزيته (خاصة الزيت البكر غير المعالج بأية مواد كيميائية ، وهو زيت العصرة الأولى) بصفة منتظمة .

وزيت الزيتون سائل أصفر اللون ، غنى بالأحماض الزيتية (Oleic Acids) ، ويستخدم فى الطبخ ، وفى الإضافة إلى السلطات ، وفى إنتاج العديد من الأدوية والدهانات الطبية ، وزيوت الشعر ، والصابون ، وبه كانت توقد المصابيح لصفاء اللهب الناتج عن اشتعاله ، خاصة فى المساجد الكبرى كالمسجد الأقصى الذى ندعو الله (تعالى) أن يعيننا على تحريره من دنس اليهود فى أقرب وقت ممكن إن شاء الله

والزيتون - بالإضافة إلى فوائده وفوائد زيته الصحية- هو صبغ للآكلين ، وطعام للطاعمين ، وهو فاتح للشهية ، وثماره قابلة للتخزين بالتمليح مما يزيد من أهميتها الاقتصادية والسواك المستمد من شجر الزيتون من أفضل أنواع السواك . . فعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) أنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : «**نعم السواك الزيتون! من الشجرة المباركة وهى سواكى وسواك الأنبياء من قبلى**» .

فسبحان الذى امتدح الزيتون وزيته فى محكم كتابه ، وأقسم به ، وألهم خاتم أنبيائه ورسله النطق بهذه الحقيقة العلمية التى لم تعرف أبعادها الحقيقية إلا منذ أواخر الثمانينيات من القرن العشرين فقال قولته الشريفة :

«**كلوا الزيت وادهنوا به فإنه مبارك**» (أو من شجرة مباركة) وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداه ، ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .



الحديث العشرون

«الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين»

هذا الحديث النبوى الشريف رواه البخارى فى صحيحه (كتاب تفسير القرآن) حيث قال :

● حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْث عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْد رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**الْكَمْأَةُ مِنْ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**» .

وروى البخارى الحديث أيضا فى كتاب الطب بلفظ :

● حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِالمَلِكِ سَمِعْتُ عَمْرو بْنَ حُرَيْث قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْد قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «**الْكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**» . قَالَ شُعْبَةُ وَأَخْبَرَنِي الحَكَمُ بْنُ عُتَيْبَةَ عَنِ الحسَنِ الْعُرَنِيِّ عَنْ عَمْرِو ابْنِ حُرَيْث عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْد عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ شُعْبَةُ لَمَّا حَدَّثَنِي بِهِ الحَكَمُ لَمْ أُنْكِرْهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ المَلِكِ .

والحديث رواه أيضًا مسلم فى صحيحه عن سعيد بن زيد (رضي الله عنه) أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الكمأة من المن

ومـاؤها شـفـاء للعين» وجـاء الحـديث بنفس النص فى رواية للترمذى عن أبى هريرة (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) .

(**والكمأة**) واحدها (كمء) وهى درنة من الفطريات الجذرية التى تنمو تحت الأرض بالتكافل مع جـذور نبـاتات مـعـينة إلى عـمق حوالى ثلاثين سنتيمترًا تحت سطح التربة ، وتنمو فى جماعات من عـشـرة إلى عـشـرين درنة فى المكان الواحـد من التـربة . وهذه الدرنات كـروية أو شبـه كـروية ، لحـميـة الملمس ، رخوة ، ويتـدرج لونها من الأبيض إلى الرمادى والبنى والأسود ، ولها رائحة نفاذة . والكمأة تنمو فى صحارى الوطنين العربى والإسلامى من موريتانيا غـربا إلى أواسط آسـيـا شـرقًـا ، فى بيـئـات تتـراوح بين الرمـال العـمـيـقـة ، والحـصى الضـحل ، والحـجـر ، ويزدهر نموها بعـد مـواسم العـواصف الرعـدية ومن هنا أطلق عليـهـا العـرب اسم «نبـات الرعد» .

وللكمـأة أنواع عـديدة ، ودرناتهـا مـخـتلفـة الأشـكال والألوان ، وتنمو فى الطبـقة السطحية من التـربة وتدرك عن طريق تشـققات التربة فى اتجاهين عموديين وقت نضجها ، وإذا لم تجمع الدرنات فـإنها سـرعـان مـا يتكون بداخلهـا أبواغ (والبـوغ واحـد الأبواغ ، ويطلق عليه أيضًا اسم البوغاء ، وهو التـراب النـاعـم جدا ، والذى يطير من دقته إذا مس) ، وبانفجار كيس الأبواغ تنتثر محتوياته فى التربة ، فإذا جاء موسم المطر فى أواخر شهر أكتوبر التالى وهو شـهر يتميز بالأمطار الرعدية ، فإن محتوى الأبواغ ينبت ليعطى خيوطًا

فطرية دقيقة تنفذ بقدرة الله (تعالى) إلى داخل نسيج جذور نباتات نامية فى نفس المنطقة وتتطفل عليها حتى يكتمل نموها على هيئة الدرنات الكاملة .

والكمأة مصدر مهم للبروتينات بين نباتات الصحراء ، وتتكون درناتها من ٧٧٪ ماءً ، ٢٣ ٪ مواد مختلفة منها ٦٠ ٪ هيدرات الكربون ، ٧٪ دهونًا ، ٤٪ أليافًا ، ١٨٪ مواد بروتينية ، ١١٪ تبقى على هيئة رماد بعد الحرق ، وقد تم التعرف على سبعة عشر حمضًا من الأحماض الأمينية فى بروتينات الكمأة .

وفى وصف رسول الله ﷺ للكمأة بأنها من المن تعبير عن أنها تنبت بفضل من الله ومنه ؛ لأنها لا تزرع ولا تستزرع ، فهى منة من الله (تعالى) ، لا تحتاج إلى مئونة بذر أو سقى ، ولا تحتاج إلى تعب أو نصب من الإنسان إلا فى جمعها ، ومن هنا كان وصفها بالمن .

وأما عن وصف رسول الله ﷺ لها بأن **«ماءها شفاء للعين»** فقد ذكر ابن سينا أنه انطلاقًا من هذا الحديث النبوى الشريف فإن المسلمين كانوا يغلون ماءها ثم يبردونه ، ويكتحلون به (يتقطرون به) . وقد قام أحد أطباء العيون المصريين (وهو الدكتور المعتز المرزوقى) بمحاولة تحقيق هذا الحديث الشريف عمليًا فوصل إلى عدد من النتائج المهمة التى منها أن ماء الكمأة يمنع حدوث التّليّف فى حالات أمراض العيون المعروفة باسم (الحثر) أو (التراكوما) وذلك عن طريق التدخل للحد من تكوين الخلايا

المكونة للألياف فى مكان الإصابة ، فقد أثبتت تجاربه أن استعمال ماء الكمأة فى علاج حالات الرمد الحبيبى أو التراكوما (وهو التهاب مزمن ، معدٍ ، يقاسى منه معظم سكان العالم العربى وحوض البحر الأبيض المتوسط وغيرهم من سكان العالم) قد أدى إلى نقص شديد فى تكون الخلايا الليمفاوية الناتجة عن هذا الالتهاب ، التى تسبب العتامة القرنية والتى بمضاعفاتها يمكن أن تؤدى إلى فقدان البصر بالكامل ، فقد ثبت أن الرمد الحبيبى بمضاعفاته المختلفة مسئول مسئولية كاملة عن أكثر من ربع حالات فقد البصر فى مناطق انتشار المرض . وفى أحيان كثيرة يصاحب الرمد الحبيبى بالرمد الربيعى ، فيتضاعف التليف فى مكان الإصابة ، وقد أثبتت التجارب التى أجراها الدكتور المعتز المرزوقى أن ماء الكمأة يقلل من حدوث هذا التليف فى قرنية العين بدرجة ملحوظة ، وذلك بوقف نمو الخلايا المكونة للألياف ، وبمعادلة التأثير الكيميائى لسموم التراكوما ، وبمنع النمو غير الطبيعى للخلايا الطلائية للملتحمة فى العين ؛ لأن معظم مضاعفات الرمد الحبيبى تنتج عن تليف قرنية العين ، وماء الكمأة يشفيه .

وهنا يبرز التساؤل المنطقى : مَنْ غير الله (تعالى) يمكن أن يكون قد عَلَّم المصطفى ﷺ هذه الحقائق العلمية : «أن الكمأة من المنِّ ، وأن ماءها شفاء للعين» فينطق بها من قبل ألف وأربعمائة سنة؟

وهنا تتضح قيمة هذه الإشارات العلمية فى كل من كتاب

الله وسنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ فى الدعوة إلى دين الله الخاتم فى زمن قصرت فيه المسافات، وتلاقت مختلف الحضارات، والمعتقدات والثقافات، وفتن الناس بالعلم ومعطياته فتنة كبيرة، ولم يعد يقنعهم منطق سواه، بعد أن نسوا الله فأنساهم أنفسهم . . .!!!

وهنا أيضا يتضح منهج من أعظم المناهج فى الدفاع عن هويتنا الإسلامية فى ظل محاولة الغرب فرض قيمه الساقطة على دول العالم الثالث - وفى زمرتها الدول الإسلامية- باسم النظام العالمى الجديد وما يسمى زورًا باسم الشرعية الدولية وهما يبعدان عن كل من النظام والشرعية بعد المشرقين . . .!!!

وخلاصنا الوحيد من هذه الهجمة المادية الشرسة هو فى الإيمان بفضل القرآن الكريم على غيره من الكتب وبفضل الإسلام العظيم على غيره من الأديان، وبصدق نبوة النبى الخاتم، والرسول الخاتم ﷺ الذى تعهد ربنا (تبارك وتعالى) بحفظ رسالته إلى يوم الدين فى الوقت الذى تعرضت فيه كل صور الوحى السابقة للضياع، وتعرض ما بقى منها من ذكريات إلى قدر هائل من التحريف الذى أخرجها عن إطارها الربانى وجعلها عاجزة عن هداية أصحابها فتحولوا إلى وحوش ضارية تعيث فى الأرض فسادًا وإفسادًا ولا رادع لها إلا الإسلام، وقدرتَنا على التمسك بهذا الدين العظيم والالتزام به، وعلى إقناع غيرنا بصدقه، وما ذلك على الله بعزيز وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا والحمد لله رب العالمين .

الحديث الحادى والعشرون

«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا»

هذا الحديث النبوى الشريف رواه البخارى فى صحيحه (كتاب الكسوف) عن أبى مسعود حيث قال :

● حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبَّاد قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَقُومُوا فَصَلُّوا» .

● حَدَّثَنَا أَصْبَغُ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمْرٌو عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا حَيَاتِهِ وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا» .

● حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنِ مَالِكٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الأُولَى ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ انْجَلَتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا» ثُمَّ قَالَ : يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» .

ورواه أيضا فى كتاب النكاح عن ابن عباس (رضى الله عنهما) فقال :

● حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ مَعَهُ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلا نَحْوًا مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا

طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ، ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ، ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللهَ» قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ فَقَالَ : «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ أَوْ أُرِيتُ الجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا ، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا : لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : «بِكُفْرِهِنَّ» . قِيلَ : يَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ : «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» .

ورواه كذلك فى كتاب اللباس عن أبى بكرة (رضي الله عنه) قال :

● حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الأَعْلَى عَنْ يُونُسَ عَنِ الحَسَنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : خَسَفَتِ الشَّمْسُ وَنَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ يَجُرُّ ثَوْبَهُ مُسْتَعْجِلاً حَتَّى أَتَى المَسْجِدَ وَثَابَ النَّاسُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَجُلِّيَ عَنْهَا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا وَقَالَ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَصَلُّوا وَادْعُوا اللهَ حَتَّى يَكْشِفَهَا» .

والحديث رواه مسلم فى صحيحه (كتاب الكسوف) عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها وأرضاها) فقال :

● وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ ، وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَاللَّفْظُ لَهُ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنَ آيَاتِ اللهِ وَإِنَّهُمَا لا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا وَادْعُوا اللهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا» يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ إِنْ مِنَ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ

أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُـهُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّـدٍ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَـحِكْتُمْ قَلِيـلاً أَلا هَلْ بَلَّغْتُ . وَفِي رِوَايَةِ مَـالِكٍ إِنَّ الشَّـمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَـانِ مِـنَ آيَـاتِ اللهِ وحَـدَّثَنَـاه يَحْيَـى بْنُ يَحْيَـى أَخْبَـرَنَا أَبُو مُعَـاوِيَةَ عَنِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَزَادَ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الشَّـمْسَ وَالْقَـمَرَ مِنَ آيَاتِ اللهِ وَزَادَ أَيْضًـا ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَـالَ : اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ .

ورواه أيضا فى كتاب الكسوف عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال :

● حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَـدَّثَنَا عَبْـدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ ح وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي حَـدَّثَنَا عَبْدُ الملكِ عَنِ عَطَاءٍ عَنِ جَابِرٍ قَالَ : انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ النَّاسُ : إِنَّمَا انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَصَلَّى بِالنَّاسِ سِتَّ رَكَعَاتٍ بِأَرْبَعِ سَجَدَاتٍ بَدَأَ فَكَبَّرَ ثُمَّ قَرَأَ فَأَطَالَ الْقِرَاءَةَ ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَقَرَأَ قِرَاءَةً دُونَ الْقِرَاءَةِ الأُولَى ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَقَرَأَ قِرَاءَةً دُونَ الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ ثُمَّ انْحَدَرَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ أَيْضًا ثَلاثَ رَكَعَاتٍ لَيْسَ فِيهَا رَكْعَةٌ إِلا الَّتِي قَبْلَهَا أَطْوَلُ مِنَ الَّتِي بَعْدَهَا وَرُكُوعُهُ نَحْوًا مِنَ

سُجُودِهِ ثُمَّ تَأَخَّرَ وَتَأَخَّرَتِ الصُّفُوفُ خَلْفَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا وَقَالَ أَبُوبَكْرٍ : حَتَّى انْتَهَى إِلَى النِّسَاءِ ثُمَّ تَقَدَّمَ وَتَقَدَّمَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى قَامَ فِي مَقَامِهِ فَانصَرَفَ حِينَ انصَرَفَ وَقَدْ آضَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ : «إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللهِ وَإِنَّهُمَا لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ» مِنَ النَّاسِ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لِمَوْتِ بَشَرٍ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنَ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ مَا مِنَ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلاتِي هَذِهِ لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنَ لَفْحِهَا وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ : إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا ثُمَّ جِيءَ بِالجَنَّةِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنَ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ لا أَفْعَلَ فَمَا مِنَ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلاتِي هَذِهِ .

ورواه كذلك فى كتاب الكسوف قائلا :

● عن المغيرة بن شعبة وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ قَالا : حَدَّثَنَا مُصْعَبٌ وَهُوَ ابْنُ الْمِقْدَامِ حَدَّثَنَا

زَائِدَةُ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عِلاقَةَ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ : قَالَ زِيَادُ بْنُ عِلاقَةَ : سَمِعْتُ المغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ انْكَسَفَت الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللهِ لا يَنْكَسِفَانِ لمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللهَ وَصَلُّوا حَتَّى تَنْكَشِفَ»

والحديث رواه النسائى فى سننه (كتاب الكسوف) عن أبى بكرة (رضي الله عنه) قال :

● أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنِ يُونُسَ عَنِ الحسَنِ عَنِ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللهِ تَعَالَى لا يَنْكَسِفَانِ لمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لحَيَاتِهِ» وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ .

- ورواه أيضا فى (كتاب الكسوف) عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها) قال :

● أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ عَنِ يُونُسَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنِ عَائِشَةَ قَالَتْ : خَسَفَت الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَامَ فَكَبَّرَ وَصَفَّ النَّاسُ وَرَاءَهُ فَاقْتَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِرَاءَةً طَوِيلَةً ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : سَمِعَ اللهُ لمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الحمد . . .

ـ ورواه كذلك فى (كتاب الكسوف) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال :

● أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ قَالَ : حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : خَسَفَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ مَعَهُ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً قَرَأَ نَحْوًا مِنَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ قَالَ : ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ : «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللهِ لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ**» فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أُرِيتُ الجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنهَا عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ قَالُوا : لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : بِكُفْرِهِنَّ قِيلَ : يَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ : يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ

أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنكَ شَيْئًا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنكَ خَيْرًا قَطُّ .

والحديث رواه أبو داود فى سننه (كتاب الصلاة) عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها) فقال :

● حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَخْبَرَنِي مَنْ أُصَدِّقُ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ عَائِشَةَ قَالَ : كُسِفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ قِيَامًا شَدِيدًا يَقُومُ بِالنَّاسِ ثُمَّ يَرْكَعُ ثُمَّ يَقُومُ ثُمَّ يَرْكَعُ ثُمَّ يَقُومُ ثُمَّ يَرْكَعُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ثَلَاثُ رَكَعَاتٍ يَرْكَعُ الثَّالِثَةَ ثُمَّ يَسْجُدُ حَتَّى إِنَّ رِجَالًا يَوْمَئِذٍ لَيُغْشَى عَلَيْهِمْ مِمَّا قَامَ بِهِمْ حَتَّى إِنَّ سِجَالَ الماء لَتُصَبُّ عَلَيْهِمْ يَقُولُ إِذَا رَكَعَ اللهُ أَكْبَرُ وَإِذَا رَفَعَ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ حَتَّى تَجَلَّتِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَالَ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لايَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِه» وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ فَإِذَا كُسِفَا فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ .

ـ ورواه أيضا فى (كتاب الصلاة) عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال :

● حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ عَبْدِ الملِكِ حَدَّثَنِي عَطَاءٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُسِفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ رَسُولِ الله

ﷺ فَقَالَ النَّاسُ إِنَّمَا كُسِفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِهِ ﷺ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَصَلَّى بِالنَّاسِ سِتَّ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ كَبَّرَ ثُمَّ قَرَأَ فَأَطَالَ الْقِرَاءَةَ ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَرَأَ دُونَ الْقِرَاءَةِ الأُولَى ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الثَّالِثَةَ دُونَ الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَانْحَدَرَ لِلسُّجُودِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ ثَلاثَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ لَيْسَ فِيهَا رَكْعَةٌ إِلاَّ الَّتِي قَبْلَهَا أَطْوَلُ مِنَ الَّتِي بَعْدَهَا إِلاَّ أَنَّ رُكُوعَهُ نَحْوٌ مِنَ قِيَامِهِ قَالَ: ثُمَّ تَأَخَّرَ فِي صَلاتِهِ فَتَأَخَّرَتِ الصُّفُوفُ مَعَهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَامَ فِي مَقَامِهِ وَتَقَدَّمَتِ الصُّفُوفُ فَقَضَى الصَّلاةَ وَقَدْ طَلَعَتْ الشَّمْسُ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ بَشَرٍ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنَ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ» وَسَاقَ بَقِيَّةَ الحَدِيثِ حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنِ هِشَامٍ حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ عَنِ جَابِرٍ قَالَ: كُسِفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الحَرِّ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى جَعَلُوا يَخِرُّونَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَصَنَعَ نَحْوًا مِنَ ذَلِكَ فَكَانَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعُ سَجَدَاتٍ وَسَاقَ الحَدِيثَ .

ومن رواة الحديث أيضا ابن ماجه فى سننه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها) عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها) قال :

● حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ السَّرْحِ الْمِصْرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنِ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَامَ فَكَبَّرَ فَصَفَّ النَّاسُ وَرَاءَهُ فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِرَاءَةً طَوِيلَةً ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً هِيَ أَدْنَى مِنَ الْقِرَاءَةِ الأُولَى ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلا هُوَ أَدْنَى مِنَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ قَالَ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ فَاسْتَكْمَلَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ وَانْجَلَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللهِ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ» فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلاةِ .

والحديث رواه أحمد فى مسنده عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال :

● حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ يَعْنِي ابْنَ عِيسَى قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ زَيْدٍ يَعْنِي ابْنَ أَسْلَمَ عَنِ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : خَسَفَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ مَعَهُ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلا قَالَ : نَحْوًا مِنَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلا ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : قَالَ أَبِي وَفِيمَا قَرَأْتُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلاً قَالَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ إِسْحَاقَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ : «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللهِ لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ**» فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ قَالُوا : لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : بِكُفْرِهِنَّ قِيلَ : أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ

ـ ورواه أيضا عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال :

● حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ عَنِ جَابِرٍ قَالَ : كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ (عليه السلام) ابْنُ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ النَّاسُ : إِنَّمَا كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَصَلَّى بِالنَّاسِ سِتَّ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ كَبَّرَ ثُمَّ قَرَأَ فَأَطَالَ الْقِرَاءَةَ ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَرَأَ دُونَ الْقِرَاءَةِ الأولَى ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَرَأَ دُونَ الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَانْحَدَرَ لِلسُّجُودِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ ثَلاثَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ لَيْسَ فِيهَا رَكْعَةٌ إلا الَّتِي قَبْلَهَا أَطْوَلُ مِنَ الَّتِي بَعْدَهَا إِلا أَنَّ رُكُوعَهُ نَحْوٌ مِنَ قِيَامِهِ ثُمَّ تَأَخَّرَ فِي صَلاتِهِ وَتَأَخَّرَتِ الصُّفُوفُ مَعَهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَامَ فِي مَقَامِهِ وَتَقَدَّمَتِ الصُّفُوفُ فَقَضَى الصَّلاةَ وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ : يأَيُّهَا النَّاسُ : «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّهُمَا لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ بَشَرٍ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنَ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ**» إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلاتِي هَذِهِ وَلَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ فَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنَ لَفْحِهَا حَتَّى قُلْتُ أَيْ رَبِّ وَأَنَا فِيهِمْ

وَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الحاجَّ بِمِحْجَنِه فَإِنْ فُطِنَ بِهِ قَالَ إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَتْرُكْهَا تَأْكُلُ مِنَ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا وَجِيءَ بِالجَنَّةِ فَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي فَمَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنَ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ لا أَفْعَلَ

- ورواه أيضا عن محمود بن لبيد (رضي الله عنه) قال :

● حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْغَسِيلِ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنِ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ : كَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا : كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلا وَإِنَّهُمَا لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِه**» فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا كَذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى المَسَاجِدِ ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ فِيمَا نَرَى بَعْضَ ﴿الر كِتَابٌ﴾ ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ اعْتَدَلَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِى الأُولَى .

- ورواه أيضا عن أسماء بنت أبى بكر (رضى الله عنهما وأرضاهما) قال :

● حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ : خَسَفَتِ

الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ فَسَمِعْتُ رَجَّةَ النَّاسِ وَهُمْ يَقُولُونَ آيَةٌ وَنَحْنُ يَوْمَئِذٍ فِي فَازِعٍ فَخَرَجْتُ مُتَلَفِّعَةً بِقَطِيفَةٍ لِلزُّبَيْرِ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي لِلنَّاسِ فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ مَا لِلنَّاسِ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى السَّمَاءِ قَالَتْ: فَصَلَّيْتُ مَعَهُمْ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فَرَغَ مِنَ سَجْدَتِهِ الأولَى قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ قِيَامًا طَوِيلاً حَتَّى رَأَيْتُ بَعْضَ مَنْ يُصَلِّي يَنْتَضِحُ بِالماءِ ثُمَّ رَكَعَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً ثُمَّ قَامَ وَلَمْ يَسْجُدْ قِيَاما طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ رُكُوعِهِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ سَلَّمَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ ثُمَّ رَقِيَ المِنْبَرَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ الله لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلاةِ وَإِلَى الصَّدَقَةِ وَإِلَى ذِكْرِ الله» أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِلا وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا وَقَدْ أُرِيتُكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ يُسْأَلُ أَحَدُكُمْ مَا كُنْتَ تَقُولُ وَمَا كُنْتَ تَعْبُدُ فَإِنْ قَالَ: لا أَدْرِي رَأَيْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ وَيَصْنَعُونَ شَيْئًا فَصَنَعْتُهُ قِيلَ لَهُ: أَجَلْ عَلَى الشَّكِّ عِشْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ وَإِنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله قِيلَ: عَلَى الْيَقِينِ عِشْتَ قَالَ: مِتَّ هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ الجَنَّةِ وَقَدْ رَأَيْتُ خَمْسِينَ أَوْ سَبْعِينَ أَلْفًا

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي مِثْلِ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنهُمْ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَنْ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَنْزِلَ إِلا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: أَبُوكَ فُلانٌ الَّذِى كَانَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ .

والحديث رواه الإمام مالك فى الموطأ (كتاب النداء للصلاة) عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها وأرضاها) قال :

● حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِك عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللهِ لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللهَ وَكَبِّرُوا وَتَصَدَّقُوا» ثُمَّ قَالَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ مَا مِنَ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا .

ـ ورواه أيضـًا فى (كتاب النداء للصلاة) عن ابن عباس وَحَدَّثَنِي عَنِ مَالِك عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

عَبَّاس أَنَّهُ قَالَ : خَسَفَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ وَالنَّاسُ مَعَهُ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً نَحْوًا مِنَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ قَالَ : ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ : «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ الله لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِه**» فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا الله قَالُوا : يَا رَسُولَ الله رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ فَقَالَ : إِنِّى رَأَيْتُ الجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنهَا عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ قَالُوا : لِمَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ : لِكُفْرِهِنَّ قِيلَ : أَيَكْفُرْنَ بِالله قَالَ : وَيَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنكَ شَيْئًا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنكَ خَيْرًا قَطُّ .

والحديث رواه الدارمى فى سننه (كتاب الصلاة) عن أبى مسعود (رضي الله عنه) قال :

● حَدَّثَنَا يَعْلَى حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ قَيْسٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيْسَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَقُومُوا فَصَلُّوا» .

- ورواه أيضا فى (كتاب الصلاة) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال :

● حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ الْبُوَيْطِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ هُوَ الشَّافِعِيُّ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : خَسَفَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَكَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ صَلاتَهُ ﷺ رَكْعَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَقَالَ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللهِ لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ » .

وكسوف الشمس (أو انخسافها) يتم نتيجة لوقوع القمر بيننا وبين الشمس فيحجب أشعتها عنا ، وقد يكون هذا الكسوف كليا (يحجب قرص الشمس عنا) ، ويحدث ذلك فى حزام محدود على نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس ، فيتحول النهار ليلا خلال دقائق معدودة ، وإلى الشمال والجنوب من هذا الشريط

يكون الكسوف جزئيًا ، ويتناقص الجزء المكسوف من الشمس بالبعد عن حزام الكسوف الكلى فى اتجاه القطبين .

وقد جاء فى الحديث الشريف الذى نحن بصدده «**أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته**» بمعنى أنهما ظاهرتان كونيتان دائبتا الحدوث بغض النظر عن موت الأفراد وحياتهم ، كما كان يدعى عدد من الناس فى جزيرة العرب وفى غيرها من بلدان العالم الذين كانوا ينسبون تلك الظواهر الكونية لميلاد عظيم أو وفاته ، وجاء حديث المصطفى ﷺ لينفى تلك الخرافات نفيًا قاطعًا ، وليؤكد دورية حدوث هذه الظواهر الكونية .

وقد ثبت علميًا أن القمر يتبعه مخروطٌ من الظل بفضل حجبه أشعة الشمس ، وفى دورة القمر حول الأرض يمر معه مخروط ظله ، وفى وقت الاقتران الذى يحدث مرة فى كل شهر قمرى ، يكون القمر متوسطًا تمامًا بين الشمس والأرض فيحجب ضوءها عنا كليًا أو جزئيًا ، وفى معظم شهور السنة ينحرف القمر فى مروره بيننا وبين الشمس فلا ينحجب ضوؤها عنا ، وبالتالى لا تنكسف الشمس ، أما خسوف القمر فيحدث بدخوله فى ظل الأرض الذى يتكون مع دوران الأرض حول الشمس ، وهى ظاهرة ترى من جميع الأرض . وفى معظم شهور السنة يمر القمر فوق أو تحت مخروط ظل الأرض ، ويتحاشاه فلا ينخسف .

ولذلك فإن حوادث الكسوف الكلى للشمس هى حوادث

نادرة ، وفى أثناء كسوف الشمس بتوسط القمر بيننا وبينها قد يحدث أن يبقى من أطراف الشمس ما يشبه الحلقة المضيئة تحيط بقرص القمر المظلم ، ويسمى هذا الكسوف باسم الكسوف الحلقى .

وعند حدوث الكسوف الكلى تظلم السماء ، وتظهر النجوم فى منتصف النهار ، وينتقل الناس فى دقائق معدودات من وضح النهار إلى ما يشبه الليل ، مما يدعو إلى شىء من الذعر والانقباض ليس عند الإنسان فحسب بل عند جميع المخلوقات فتأوى الطيور إلى أوكارها ، والحيوانات إلى جحورها أو تخلد إلى شىء من السكون الحذر .

وفى لحظات كسوف الشمس تقل كمية الطاقة الشمسية الواصلة إلينا ، فتنخفض درجة حرارة الأرض ، وعلى العكس من ذلك فإنه فى لحظات خسوف القمر تزداد كمية الطاقة الشمسية الواصلة إلينا فترتفع درجة الحرارة نسبيا لدقائق معدودة ، ولما كانت هذه الأمور محسوبة بدقة بالغة ، فإن الأرض تكون معرضة خلال هاتين الظاهرتين الكونيتين لمخاطر لا يعلمها إلا الله ، ومن هنا كانت وصية رسول الله ﷺ بالإكثار من ذكر الله بتحميده وتكبيره وتمجيده ، وباللجوء إلى الصلاة ، والمبادرة بإخراج الصدقات لعل الله (تعالى) يكشف تلك المخاطر عن الأرض ومن عليها ، فلا تزال هاتان الظاهرتان تكتنفان من المخاطر والأسْرار ما لا يعلمه إلا الله . . !!!

ولذلك جاء في نصوص أخرى لنفس الحديث الذي نحن بصدده قول المصطفى ﷺ **«فافزعوا إلى الصلاة»** ، وقوله : **«هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ، ولكن يخوف الله بها عباده ، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره»** ويعجب الإنسان من هذا العلم النبوى الدقيق الذى نطق به ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، فى زمن كان الناس غارقين إلى آذانهم فى محيط من الخرافات والأساطير ، ولم يكن لأحد علم بتلك الحقائق الكونية التى بدأت فى التكشف لعلم الإنسان منذ عشرات قليلة من السنين ، وهذا الحديث الشريف وحده يكفى أن يكون شهادة حق لنبوة هذا النبى الخاتم ، والرسول الخاتم ﷺ ، الذى كان موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قِبَل خالق السماوات والأرض ، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من اتبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الحديث الثاني والعشرون

النجوم أمنة السماء...

هذا الحديث النبوى الشريف رواه مسلم فى صحيحه (كتاب فضائل الصحابة) حيث قال :

● حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ كُلُّهُمْ عَنْ حُسَيْنٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الجُعْفِيُّ عَنْ مُجَمِّع بْنِ يَحْيَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : صَلَّيْنَا المغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ قُلْنَا : لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ : فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فقَالَ : «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله صَلَّيْنَا مَعَكَ المغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا : نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ قَالَ : أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا ما يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِى أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» .

والحديث رواه أحمد فى مسنده قال :

● حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الجُعْفِيُّ عَنْ مُجَمِّعِ بْنِ يَحْيَى بْنِ زَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ الأنْصَارِيِّ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَذْكُرُهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ قُلْنَا : لَوْ انْتَظَرْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ : فَانْتَظَرْنَا فَخَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ : مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا قُلْنَا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قُلْنَا نُصَلِّي مَعَكَ الْعِشَاءَ قَالَ : أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ : وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : **«النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَتْ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ »** .

والحديث رواه كذلك أبو يعلى - في مسنده - عن سلمة بن الأكوع وحسنه السيوطى ، وأشار إليه المناوى فى كتابه المعنون «فيض القدير» .

وسوف أعلق هنا على الشطر الأول من الحديث فقط والذى يقول فيه ﷺ : **«النجوم أمنة السماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد»** وذهاب النجوم انكدارها وطمسها ، وما توعد السماء كشفها ، وانشقاقها ، وانفطارها ، وانفراجها ، ومورها وتحولها إلى شىء كالمهمل وإتيانها بالدخان .

والنجوم هى أجرام سماوية منتشرة بالسماء الدنيا ، كروية الشكل أو شبه كروية ، غازية ، ملتهبة ، مضيئة بذاتها ، مرتبطة مع بعضها البعض بقوى الجاذبية على الرغم من بنائها الغازى ، وهى عظيمة الكتلة والحجم ، عالية الحرارة ، وتشع كلا من الضوء غير المرئى والمرئى ، بجميع موجاته .

والنجوم تمر فى دورة حياتها بمراحل من الميلاد إلى الشباب والشيخوخة قبل أن تنفجر ، أو تتكدس على ذاتها فتنكدر ثم تطمس ، أو تنفجر قبل ذلك أو بعد ذلك فتعود إلى دخان السماء لتدخل فى دورة ميلاد نجم جديد .

ويقضى النجم ٩٠٪ من عمره فى مرحلة النجوم العادية الشبيهة بشمسنا قبل انفجارها أو انكدارها أو طمسها ، وقد تنتهى المرحلتان الأخيرتان بالانفجار كذلك .

والنجوم هى أفران ذرية كونية هائلة يتم بداخلها سلاسل من التفاعلات النووية تعرف باسم عملية الاندماج النووى ينتج عن طريقها تخليق جميع العناصر التى تحتاجها كل من الأرض والسماء الدنيا .

وبالإضافة إلى قوى الجاذبية التى تربط نجوم السماء الدنيا ببعضها البعض ربطًا محكمًا ، فإن هناك أعدادًا من القوى التى تمسك بالمادة فى داخل الأرض وفى داخل كل جرم سماوى ، وفى صفحة السماء الدنيا ، ونعرف من هذه القوى : القوة النووية

الشديدة ، والقوة النووية الضعيفة ، والقوة الكهربائية/ المغناطيسية (الكهرومغناطيسية) وهذه القوى الأربع هى التى تمسك بالمادة والطاقة فى الجزء المدرك من الكون .

ونظرًا لضخامة كتل النجوم فإنها تهيمن بقوى جذبها على كل ما يدور فى فلكها من كواكب ، وكويكبات ، وأقمار ، ومذنبات وغير ذلك من صور المادة ، والنجوم ترتبط فيما بينها بالجاذبية ، وتتجمع فى وحدات كونية أكبر فأكبر مرتبطة فيما بينها بالجاذبية أيضًا ، فإذا انفرط عقد هذه القوى انهارت النجوم وانهار الكون بانهيارها .

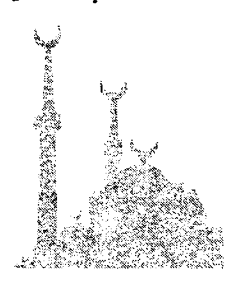
وهنا تتضح روعة التعبير النبوى الشريف : «**النجوم أمنة السماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد . . .**» .

وهذه الحقائق لم يتوصل الإنسان إلى إدراكها إلا فى القرن العشرين ، ونطق المصطفى ﷺ بها من قبل ألف وأربعمائة سنة بهذه الدقة العلمية ، فى زمن كان أهل الأرض غارقين إلى آذانهم فى محيط من الجهل ، والظلام ، والخرافات ، والأساطير ـ لهو أمر معجز حقًا ، ولا يمكن أن نجد له من تفسير إلا الصلة بالخالق (سبحانه وتعالى) عن طريق الوحى .

وهذا الحديث ، وأمثاله من كلام الصادق المصدوق ﷺ لمن الشهادات البينة على صدق نبوته ، وصدق رسالته ، وصدق قوله ، فى زمن تحاول الأغلبية الساحقة من كفار ومشركى الأرض إنكار نبوته (صلوات الله وسلامه عليه) .

وعلى ذلك فإن فى توظيف هذا السبق العلمى لأحاديث رسول

الله ﷺ فى الدعوة إلى الدين الخاتم الذى جاء به فى زمن العلم والتقنية الذى نعيشه ، وهو زمن قصرت فيه المسافات ، وتلاقت الحضارات بكل ما فى جعبها من معتقدات ، وآراء ، وفلسفات وأفكار ، صار لزامًا على المسلمين أن يحسنوا الدعوة إلى دين الله الخاتم ، والدين بركائزه الأساسية : العقيدة ، والعبادات ، والأخلاق ، والمعاملات لم يعد يحرك ساكنًا فى قلوب الكفار والمشركين من أهل الأرض وما أكثرهم ، لأن هذه المعتقدات الأصيلة قد شوهت فى أغلب الأديان المنتشرة فى الأرض ، والناس فى زماننا قد فتنوا بالعلم ومعطياته فتنة كبيرة ، فإذا قدمنا إليهم سبقًا علميًا كالذى جاء فى هذا الحديث الشريف ، فإن ذلك قد يقنعهم بمزيد من الاطلاع على كتاب الله ، وعلى سنة رسوله ﷺ فيجدون فيهما ضالتهم التى ينشدون ؛ لأن الأصل فى الإنسان الخير ، والشرور حالات عارضة ، فإذا استطعنا أن نصل إلى الخير فى نفوس الناس أنقذناهم من عذاب الدنيا والآخرة ، وأنقذنا أنفسنا والعالم من شرورهم ، وما ذلك على الله بعزيز وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداه ، ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .



الحديث الثالث والعشرون

«إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد والنار والماء والملح»

أخرج الديلمي في الفردوس والسيوطي في جمع الجوامع، وابن كثير في الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف، والعجلوني في كشف الخفاء كما روى القرطبي في تفسيره حديثًا لرسول الله ﷺ يقول فيه: «إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد والنار والماء والملح».

وعلى الرغم من وجود ضعف في إسناد الحديث إلا أن به سبقًا علميًا معجزًا، والذين سمعوا هذا الحديث الشريف فهموا إنزال كل من النار، والماء، والملح من السماء إلى الأرض، ولكنهم لم يستطيعوا - في زمانهم - استيعاب فكرة إنزال الحديد من السماء إلى الأرض، على الرغم من وجود إشارة واضحة إليها في كتاب الله حيث يقول (عز من قائل):

﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (الحديد: ٢٥)

وعلى ذلك فإن أغلب الذين تعرضوا لشرح كل من هذه الآية

القرآنية الكريمة ، والحديث النبوى الشريف فسروا (الإنزال) بأنه ليس إنزالا حقيقيًا ولكنه إنزال مجازى بمعنى خلق وإيجاد عنصر الحديد .

ولكن فى العقود المتأخرة من القرن العشرين اتجه علماء الفلك والفيزياء الفلكية إلى دراسة التركيب الكيميائى للجزء المدرك من الكون ففوجئوا بأن العنصر الغالب فيه هو غاز الأيدروجين (أخف العناصر ، وأبسطها بناءً) الذى يكون أكثر من ٧٤٪ من مادة الكون المنظور ، ويليه فى الكثرة غاز الهيليوم (العنصر الثانى فى الجدول الدورى للعناصر) والذى يكون ٢٤٪ من مادة الكون المنظور وأن باقى الـ ١٠٥ عناصر التى تعرف عليها الإنسان تكون أقل من ٢٪ من مادة الكون المنظور . هذه الملاحظة أدت إلى الاستنتاج المنطقى أن جميع العناصر المعروفة لنا قد خلقت من غاز الأيدروجين بتكثفه على ذاته ، واتحاد نوى ذراته مع بعضها البعض بعملية تسمى باسم عملية الاندماج النووى .

وبالنظر فى الشمس ثبت أن وقودها هو غاز الأيدروجين الذى تتحد نوى ذراته مع بعضها البعض لتكون نوى ذرات الهيليوم وتنطلق الطاقة الهائلة التى أعطت لب الشمس حرارة تقدر بحوالى ١٥ مليون درجة مئوية ، ولسطحها ستة آلاف درجة مئوية ، ولألسنة اللهب المندفعة من داخلها حوالى المليون درجة مئوية ، وثبت أيضًا أن عملية الاندماج النووى فى قلب الشمس لا تصل أبداً إلى إنتاج أية عناصر ثقيلة فضلاً عن إنتاج الحديد ، فلا يتكون فى داخل الشمس بهذه العملية سوى الهيليوم ونسب

ضئيلة جدا من العناصر القليلة التى تلى هذا الغاز فى الجدول الدورى للعناصر .

وهنا برز التساؤل : من أين جاءت الكمية الهائلة من حديد الأرض؟ والتى تفوق ثلث كتلة الأرض المقدرة بحوالى ستة آلاف مليون مليون مليون طن (أى ٦ × $١٠^{١٨}$ × ٣٥,٩٪ = ٢,١٥٤ × $١٠^{١٨}$ طن من الحديد)؟

بالدراسة المستفيضة ثبت أن النجوم تمر بمراحل عدة فى تاريخ حياتها منها مراحل تتوهج فيها توهجًا شديدًا فتعرف باسم المستعرات والمستعرات العظمى ، وأن درجة حرارة لب النجوم فى تلك المرحلة تتعدى عشرات البلايين إلى مئات البلايين من الدرجات المطلقة ، وأن لب هذه المستعرات والمستعرات العظمى هى الأماكن الوحيدة المعروفة لنا فى صفحة الجزء المدرك من الكون التى تتم فيها عملية الاندماج النووى حتى يتحول لب النجم بالكامل إلى حديد ، وبتحوله إلى حديد يستهلك طاقة النجم بالكامل فينفجر وتتناثر أشلاؤه فى صفحة الكون ، وبذلك يصل الحديد إلى عدد من أجرام السماء من مثل كوكب الأرض ، تمامًا كما تصلنا نيازك الحديد اليوم .

هذه الملاحظة قادت إلى التصور الصحيح أن الأرض عند انفصالها عن الشمس (أو عن السحابة الكونية التى نشأت عنها مجموعتنا الشمسية) لم تكن سوى كومة من الرماد ليس فيها

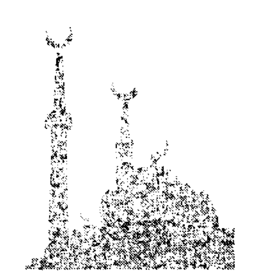
عناصر أعلى من الألومنيوم والسيليكون ، ثم رجمت بوابل من النيازك الحديدية ، والصخرية ، والحديدية الصخرية ، التى تحركت بحكم كثافتها الأعلى من كثافة الأرض الابتدائية (كومة الرماد) فتحركت إلى مركز تلك الكومة حيث انصهرت بحرارة الاستقرار وصهرت كومة الرماد ، ومايزتها إلى سبع أرضين :

لب داخلى صلب (أغلبه الحديد ٩٠٪ ، والنيكل ٩٪ ، وعناصر أخرى ١٪) ولب خارجى سائل (له نفس التركيب الكيميائى) ، وثلاثة أوشحة متتالية تتناقص فيها نسبة الحديد من الداخل إلى الخارج ، ثم الجزء السفلى من الغلاف الصخرى للأرض ، ويليه إلى الخارج الجزء العلوى من الغلاف الصخرى للأرض (قشرة الأرض وبها ٥,٦٪ حديدًا) .

بهذه الملاحظات ثبت أن كل حديد الأرض قد أنزل إليها إنزالا حقيقيًا من السماء تصديقًا لما جاء فى كتاب الله ، وفى هذا الحديث الذى نحن بصدده من أقوال رسول الله ﷺ

ولولا حديد الأرض ما كان لها هذا المجال المغناطيسى الذى يمسك بغلافها الغازى والمائى ، وبجميع صور الحياة على سطحها ، ولو لم ينزل الحديد إلى الأرض من السماء ما كانت الحياة ؛ لأن الحديد يشكل جزءًا مهمًا من المادة الحمراء (الهيموجلوبين) فى دم الإنسان ، وفى دماء العديد من الحيوانات ، وما يشكل جزءًا مهمًا كذلك من المادة الخضراء فى النباتات والتى بدونها ما كانت النباتات .

ويعجب الإنسان من هذه الإشارة العلمية الدقيقة . . . إنزال الحديد إلى الأرض من السماء فى كل من كتاب الله ، وفى هذا الحديث من أحاديث رسول الله ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة ، وهى حقيقة لم يتوصل إليها الإنسان إلا منذ عشرات قليلة من السنين ، وهى شهادة حق على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق ، وأن هذا النبى الخاتم ﷺ كان موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قِبل خالق السماوات والأرض .



الحديث الرابع والعشرون

«إن الله أنزل الداء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام»

هذا الحديث النبوى الشريف رواه أبو داود فى سننه (كتاب الطب) وقال فيه :

● حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ عَنْ أَبِيهِ ذَكَرَ طَارِقُ بْنُ سُوَيْدٍ أَوْ سُوَيْدُ بْنُ طَارِقٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الخمْرِ فَنَهَاهُ ثُمَّ سَأَلَهُ فَنَهَاهُ فَقَالَ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّهَا دَوَاءٌ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لا وَلَكِنَّهَا دَاءٌ» .

ورواه أيضا فى نفس الكتاب قائلا :

● حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَادَةَ الْوَاسِطِيُّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الأَنْصَارِيِّ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ» .

والحديث رواه مسلم فى صحيحه (كتاب الأشربة) قائلا :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لابْنِ الْمُثَنَّى قَالا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ عَنْ أَبِيهِ وَائِلٍ الحَضْرَمِيِّ أَنَّ طَارِقَ بْنَ سُوَيْدٍ الجُعْفِيَّ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الخَمْرِ فَنَهَاهُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا فَقَالَ : «إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ» .

ـ ورواه الترمذى فى سننه (كتاب الطب) قائلا :

● حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلانَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سِمَاكٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَائِلٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ شَهِدَ النَّبِيَّ ﷺ وَسَأَلَهُ سُوَيْدُ بْنُ طَارِقٍ أَوْ طَارِقُ بْنُ سُوَيْدٍ عَنِ الخَمْرِ فَنَهَاهُ عَنْهُ فَقَالَ : إِنَّا نَتَدَاوَى بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهَا دَاءٌ» حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ وَشَبَابَةُ عَنْ شُعْبَةَ بِمِثْلِهِ قَالَ مَحْمُودٌ : قَالَ النَّضْرُ : طَارِقُ بْنُ سُوَيْدٍ وَقَالَ شَبَابَةُ : سُوَيْدُ بْنُ طَارِقٍ قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

أخرج كل من علماء الحديث الكبار : أبو داود ، وابن السنى ، وأبو نعيم حديث أبى الدرداء (رضي الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال : **«إن الله أنزل الداء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ، ولا تتداووا بحرام»** .

كذلك أخرج كل من مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن

ماجه ، وأبو نعيم حديث وائل بن حجر الذى ذكر فيه أن طارق بن سويد الحضرى سأل رسول الله ﷺ عن الخمر يجعل فى الدواء ، فقال ﷺ : «**إنها داء وليست دواء**» .

وأخرج كل من مسلم وابن حبان فى صحيحيهما من حديث طارق بن سويد أنه قال : قلت يارسول الله : إن بأرضنا أعنابًا نَعْصُرُها فنشرب ، قال ﷺ : «**لا**» فراجعته قلت : إنا نستشفى للمريض قال ﷺ : «**إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء**»

وروى أبو داود أن ديلم الحميرى جاء مع وفد من اليمن فسأل رسول الله ﷺ مستفتيًا فى أمر شراب يشربونه بقوله : إنا بأرض باردة نعالج فيها عملاً شديدًا وإنا نتخذ شرابًا من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وبرد بلادنا ؟

قال رسول الله ﷺ «**هل يسكر؟**» «قال : نعم ، قال رسول الله ﷺ : «فاجتنبوه» ، قال : إن الناس غير تاركيه ، قال ﷺ : «**فإن لم يتركوه فقاتلوهم**» .

وأخرج أبو نعيم حديث أبى هريرة (رضي الله عنه) الذى قال فيه : أن رسول الله ﷺ قال : «**من تداوى بالخمر فلا شفاه الله**» وأخرج البخارى فى صحيحه حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) الذى يروى عن رسول الله ﷺ قوله : «**إنه لم يجعل شفاءكم فيما حرم**» .

وأخرج الترمذى فى سننه (كتاب تفسير القرآن) قائلا :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ أَبِي مَيْسَرَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخطَّابِ أَنَّهُ قَالَ : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ

شفَاء فنَزلَت الَّتي فِي الْبَقَرَة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الآيَةَ فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْه فَقَالَ : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ فَنَزَلَت الَّتي فِي النِّسَاءِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ شِفَاء فَنَزَلَت الَّتي فِي المائِدَة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إِلَى قَوْلِه : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْه فَقَالَ : انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا قَالَ أَبُو عِيسَى : وَقَدْ رُوِيَ عَنْ إِسْرَائِيلَ هَذَا الحَدِيثُ مُرْسَلٌ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ قَالَ : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ فَذَكَرَ نَحْوَهُ وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ .

هذه الأحاديث النبوية الشريفة مجتمعة ومع غيرها من أقوال المصطفى ﷺ تنطلق من قول الحق (تبارك وتعالى) :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (البقرة : ٢١٩)

وواضح أن إثمهما الكبير واقع فى ضياع الدين والخلق ، والمروءة ، والعقل والمال ، والوقت وكلها تمثل الحياة التى سوف يسأل الإنسان عنها بين يدى الله (سبحانه وتعالى) ، وأما المنافع فتتمثل فى الربح الحرام الذى قد يجتنى من التعامل بهاتين الجريمتين ، وهو مال حرام لا يبارك الله فيه ، ومن هنا كان إثمهما أكبر من نفعهما .

ويتضح جانب الإعجاز فى حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده فى تأكيد أن الإنسان فى هذه الحياة معرض لكثيرٍ من الأدواء- وهذا من الطبيعة الإنسانية ، وأن الله تعالى ما أنزل داءً إلا وأنزل معه الدواء ، فمن عجائب خلق الله فى الكون أن كل شىء فيه قد خلق فى زوجية مبهرة حتى يبقى الله (تعالى) وحده متفردًا بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه ، فكل سبب للمرض خلق الله (سبحانه وتعالى) له ضداً هو دواؤه ، كما أن المادة لها أضدادها ، والطاقة لها أضدادها ، وهكذا .

وجانب آخر من جوانب الإعجاز فى هذا الحديث الشريف الأمر بالتداوى حتى لايترك الإنسان جسده نهبًا للمرض فيهلك بعد أن يشقى .

والجانب الثالث من جوانب الإعجاز فى الحديث أن الحرام لايمكن أن يكون دواءً لمرض من الأمراض ، ومن الحرام الخمر التى وصفها المصطفى ﷺ فى الحديث الذى رواه عنه عبدالله بن عمرو بن العاص ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير بقوله : «الخمر أم الفواحش ومن أكبر الكبائر . . .» ، ولذلك فقد نهى القرآن الكريم كما نهت أحاديث رسول الله ﷺ عن التداوى بالخمر أو التداول فيها : صناعة ، أو نقلا ، أو بيعًا ، أو شراءً ، أو شربًا أو تقديمًا ، أو لمسًا ، أو بأية حجة من الحجج ، فإنها داء وليست بدواء ، ولا شفاء فيها بل هى سبب للعديد من الأمراض البدنية والنفسية والاجتماعية فقد أثبت العديد من الدراسات والبيانات الطبية أن تناول الخمر يؤدى إلى تسمم الجسم واضطراب الذهن ، وفقدان الذاكرة وإلى العديد من الأمراض العقلية والجسدية من مثل : الفشل الكلوى ، واحتقان البروستاتة ، والتهاب مختلف

أجزاء الجهاز الهضمى بدءاً من الفم وانتهاءً «بالمصران الغليظ» ، هذه الالتهابات التى تنتهى بالسرطانات العديدة ، مرورًا بقرحات فى أماكن متفرقة ، والتهاب كل من الكبد والبنكرياس وتليفهما ، كما تؤدى إلى ارتفاع ضغط الدم وإلى إضعاف عضلة القلب ، وإلى الذبحات الصدرية وهبوط القلب والسكتات الدماغية وحدوث نزيف الدم المتكرر وإلى ضعف جهاز المناعة مما يضعف مقاومة الجسم للأمراض المختلفة . ويؤدى تناول الخمر إلى التهابات الجهاز التنفسى التى تنتهى بمرض السل الرئوى وسرطانات كل من الرئة والقصبة الهوائية والحنجرة كما يؤدى تناول الخمر إلى اضطراب نشاط الغدد الصماء بالجسم ، وإلى العديد من الاضطرابات العصبية والعقم وغير ذلك من الأمراض التى تصيب متناولى الخمور ، وهى أكثر من أن تحصى فى هذه العجالة ، وأخطرها جميعا تشوه الأجنة فى بطون الأمهات المدمنات للخمر .

أما فى الجوانب الأخرى فقد ثبت أن أغلب الجرائم السلوكية يتم تحت تأثير شرب الخمر مما دفع منظمة الصحة العالمية إلى إصدار بيان لها فى سنة ١٩٧٩ م تقرر فيه أن «تعاطى الخمور هو إحدى المشكلات الصحية الكبرى فى العالم ، وأن الاستمرار فى تعاطيها يعيق التقدم الصحى ، والاجتماعى ، والاقتصادى فى معظم المجتمعات ، وتشكل عائقًا كبيرًا فى المجال الصحى ، وتعتبر أحد العوامل المؤثرة فى تحطيم الصحة العامة ، ولا يوجد حل لها» .

وهنا يهتف كل منصف : صدقت ياسيدى يارسول الله حيث قلت : **«ولاتتداووا بحرام»** ، وحيث قلت : **«إنها داء وليست بدواء»** .

الحديث الخامس والعشرون

انشقاق القمر كرامة لرسول الله ﷺ

أخرج البخارى فى صحيحه (كتاب المغازى) ما نصه :

● حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك (رضي الله عنه) أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً «فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شقين حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا» .

وفى رواية أخرى له :

● حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود (رضي الله عنه) قَالَ : انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ : شِقَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «اشْهَدُوا» .

وفى رواية ثالثة :

● حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ : سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ «انْشِقَاقَ الْقَمَرِ» .

والحديث رواه أيضا الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب صفة القيامة والجنة والنار) قائلا :

● حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالا : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ «انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ» وحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ بِمَعْنَى حَدِيثِ شَيْبَانَ .

وأخرج الحديث برواية أخرى عَنْ عبد الله بن مسعود أنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين ، فكانت فلقة وراء الجبل ، وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله ﷺ : «**اشهدوا**» .

وهذا الحديث رواه الترمذى فى سننه (كتاب تفسير القرآن) قائلا :

● حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً «فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَنَزَلَتِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ إِلَى قَوْلِهِ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» يَقُولُ : ذَاهِبٌ قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

والحديث رواه كذلك أحمد فى مسنده حيث يقول :

● حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ سَأَلَ

أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ : «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» .

وفى كتب الحديث ومؤلفات السيرة رويت واقعة شق القمر على لسان عدد غير قليل من صحابة رسول الله ﷺ منهم عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) وعبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) وغيرهما

وقد دون كل من التاريخ الهندى والصينى القديم حادثة انشقاق القمر ، وأرخوا بها .

وفى محاضرة لى بكلية الطب- جامعة كارديف- فى مقاطعة ويلز- غربى بريطانيا ، من عدة سنوات مضت وجه أحد الحضور من المسلمين سؤالاً عن الآيات فى مطلع سورة القمر ، وهل تمثل ومضة من ومضات الإعجاز العلمى فى كتاب الله؟ فأجبت بأن هذه الواقعة تمثل إحدى المعجزات الحسية التى وقعت تأييدًا لرسول الله ﷺ فى مواجهة كفار ومشركى قريش وإنكارهم لنبوته (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) ، وأن المعجزات خوارق للسنن ، وعلى ذلك فإن السنن الدنيوية لا يمكن لها تفسير كيفية حدوث المعجزة ، ولولا ورودها فى كتاب الله ، وفى سيرة رسول الله ﷺ ما كان علينا نحن مسلمى اليوم أن نؤمن بها ، ولكننا نقر بها ، ونؤمن بوقوعها لورودها فى كتاب الله بالنص الإلهى الذى يقول فيه ربنا

(تبارك وتعالى) : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ . (القمر : ١ - ٥)

وبعد انتهاء حديثى وقف رجل بريطانى من الحضور واستأذن فى أن يضيف شيئًا إلى إجابتى فأذنت له ، ثم بدأ بتعريف نفسه على أن اسمه «داود موسى بيدكوك» (**David M. Pidcock**) وأنه مسلم ، ويرأس الحزب الإسلامى البريطانى .

ثم أضاف أن هذه الآيات فى مطلع سورة القمر كانت هى السبب فى إسلامه فى أواخر السبعينيات من القرن العشرين ، لأنه ببحث مستفيض فى الأديان أهداه أحد المسلمين ترجمة لمعانى القرآن الكريم ، وأنه عند فتح هذه الترجمة لأول مرة فوجئ بسورة القمر فقرأ الآيات فى مطلعها ، ولم يكد يصدق أن القمر قد انشق ثم التحم فأغلق الترجمة وانصرف عنها . ثم شاء الله (تعالى) أن يشاهد على شاشة التلفاز البريطانى (B. B. C) برنامجًا عن رحلات الفضاء استضاف فيه المذيع البريطانى المعروف جيمس بيرك (James Burke) ثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين وذلك فى سنة ١٩٧٨ م ، وفى أثناء الحوار كان المذيع ينتقد الإسراف على رحلات الفضاء بإنفاق عشرات بل مئات بلايين الدولارات ، والأرض يتضور فيها ملايين البشر من الجوع ،

والمرض ، والجهل ، والتخلف ، وكان جواب العلماء أنه بفضل هذه الرحلات تم تطوير عدد من التقنيات المهمة التى تطبق فى مجالات التشخيص والعلاج الطبى والصناعة ، والزراعة وغيرها ، وفى أثناء هذا الحوار جاء ذكر رحلات إنزال رجل على سطح القمر ، وقد تكلفت أكثر من مائة مليار دولار ، وجلس المذيع يتابع عتابه على هذا الإسراف ، فقرر العلماء أن هذه الرحلة قد أثبتت لهم حقيقة لو أنفقوا أضعاف هذا المبلغ لإقناع الناس بها ما صدقهم أحد . . فسأل المذيع : ماهى هذه الحقيقة؟ فأجابوا : أن هذا القمر قد سبق له أن انشق ثم التحم ، وأن آثارًا محسوسة تؤيد ذلك الحدث قد وجدت على سطح القمر وامتدت إلى داخله .

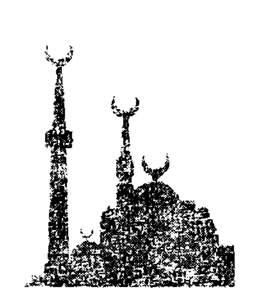
فقال السيد/ بيدكوك : حينما سمعت ذلك قفزت من الكرسى الذى كنت أجلس عليه أمام التلفاز ، وقلت : معجزة تحدث لمحمد قبل ألف وأربعمائة سنة ويرويها القرآن بهذا التفصيل العجيب يسخر الله من يثبتها للمسلمين فى عصر العلوم والتقنية الذى نعيشه ، وينفق هذا المبلغ الكبير ، لابد أن يكون هذا الدين حقًا ، وعدتُ إلى ترجمة معانى القرآن الكريم أقرؤها بشغف شديد ، وكانت آيات افتتاح سورة القمر هى السبب المباشر لقبولى الإسلام دينًا .

هذا فى الوقت الذى يحاول فيه نفر من أبناء المسلمين القول بأن انشقاق القمر لم يحدث بعد ، وأنه من علامات الآخرة استنادًا إلى مطلع السورة : ﴿ **اقتربت الساعة** ﴾ ويتناسى هؤلاء قول المصطفى ﷺ فى الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم فى

صحيحه عن سهل بن سعد (رضى الله عنهما) أنه قال : «سمعت رسول الله ﷺ يشير بإصبعه التى تلى الإبهام والوسطى وهو يقول : «**بعثت أنا والساعة هكذا**» .

ويستشهد المنكرون لواقعة انشقاق القمر استشهادًا خاطئًا بقول الحق (تبارك وتعالى) : ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ** ﴾ (الإسراء : ٥٩)

وهو استشهاد فى غير موضعه لوقوع العديد من الآيات والمعجزات الحسية لرسول الله ﷺ طيلة حياته الشريفة . فصلى الله وبارك على هذا النبى الخاتم ، والرسول الخاتم الذى شق له الله (تعالى) القمر مرتين ، كرامة له ، وتعظيمًا لشأنه ، وأبقى لنا أثر هذا الانشقاق شاهدًا ملموسًا على نبوته ، ونبل رسالته ، وصدق الكتاب الذى أنزل إليه ، والحمد لله أولاً وآخرًا .



الحديث السادس والعشرون

«من كل يخلق الإنسان، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة»

هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه الإمام أحمد فى مسنده حيث قال :

● حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ الحسَنِ حَدَّثَنَا أَبُو كُدَيْنَةَ عَنِ عَطَاءِ بنِ السَّائِبِ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : يَا يَهُودِيُّ ، إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ . فَقَالَ : لأَسْأَلَنَّهُ عَنْ شَيْءٍ لا يَعْلَمُهُ إِلا نَبِيٌّ . قَالَ : فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مِمَّ يُخْلَقُ الإنْسَانُ ؟ قَالَ : «يَا يَهُودِيُّ مِنْ كُلٍّ يُخْلَقُ مِنْ نُطْفَةِ الرَّجُلِ وَمِن نُطْفَةِ المرْأَةِ فَأَمَّا نُطْفَةُ الرَّجُلِ فَنُطْفَةٌ غَلِيظَةٌ مِنهَا الْعَظْمُ وَالْعَصَبُ وَأَمَّا نُطْفَةُ المرْأَةِ فَنُطْفَةٌ رَقِيقَةٌ مِنَهَا اللَّحْمُ وَالدَّمُ فَقَامَ الْيَهُودِيُّ فَقَالَ : هَكَذَا كَانَ يَقُولُ مَنْ قَبْلَكَ» .

وروى الإمام مسلم فى مسنده (كتاب النكاح) ما نصه :

● حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ

أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ يَعْنِي ابْنَ صَالِحٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ أَبِي الْوَدَّاكِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ سَمِعَهُ يَقُولُ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْعَزْلِ فَقَالَ: «مَا مِنْ كُلِّ الماءِ يَكُونُ الوَلَدُ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ» حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْبَصْرِيُّ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ حُبَابٍ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْهَاشِمِيُّ عَنْ أَبِي الْوَدَّاكِ عَنِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ .

وروى الإمام أحمد فى مسنده ما نصه :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الْوَدَّاكِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ العَزْلِ فَقَالَ: «لَيْسَ مِنَ كُلِّ الماءِ يَكُونُ الوَلَدُ إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ» .

● وروى الطبرى بسنده عن مجاهد (رضي الله عنه) أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعا» .

هذه الحقائق العلمية التى تقع من علم الأجنة فى الصميم والتى لم تُعرف مبادئُها الأولية إلا فى نهايات القرن الثامن عشر الميلادى ، واستغرقت أكثر من قرنين من الزمن حتى تستقر فى وجدان علماء الأجنة ، تحدث عنها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ

بهذه الدقة العلمية ، والإحاطة الشمولية منذ مطلع القرن السابع الميلادى ، أى قبل أن يصل إليها العلم المكتسب بأكثر من عشرة قرون كاملة . . .!!!

فحتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى كان الناس يعتقدون أن الإنسان جسْمُه كاملاً بأبعاد متناهية فى الصغر من دم الحيض ، وبعد اكتشاف بويضة الأنثى قالوا بأن الإنسان يخلق كاملاً فيها كما يخلق فرخ الدجاجة فى بيضتها ، ولكن بعد اكتشاف الحيوان المنوى نادوا بأن الجنين يخلق كاملا فى رأس ذلك الحيوان على الرغم من ضآلته ، ولم ينته الجدل بين أنصار كل من هذه التصورات الخاطئة إلا فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى حين اكتشفت أهمية كل من الحيوان المنوى والبويضة فى عملية تكون البويضة الملقحة التى ينشأ عنها الجنين ، ولم يتم الاتفاق على ذلك إلا فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى .

وفى القرن العشرين ثبت لعلماء الأجنة أنه من بين ملايين النطف الذكرية (الحيوانات المنوية) التى تنزل فى الدقيقة الواحدة لا يصل منها إلى قناة الرحم إلا خلاصة لا يتعدى عددها الخمسمائة ، يتمكن واحد منها فقط من اختراق البويضة (النطفة الأنثوية) ، فيتم تلقيحها ، وتتكوّن النطفة «الأمشاج» التى وصفها الحق (تبارك وتعالى) فى محكم كتابه ، والبويضة هى أيضًا جزء من ماء المرأة ، وهنا تتضح لمحة من لمحات الإعجاز العلمى فى قول المصطفى ﷺ : **«ما من كل الماء يكون الولد»** .

وهذه الأحاديث النبوية الشريفة مؤيدة بقول الحق (تبارك وتعالى) :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ . (المؤمنون : ١٢ - ١٤)

وبقوله (عز من قائل) : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ . (الإنسان : ١ ، ٢)

وقوله (سبحانه وتعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ . (الحجرات : ١٣)

وقوله (تعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ . (الحج : ٥)

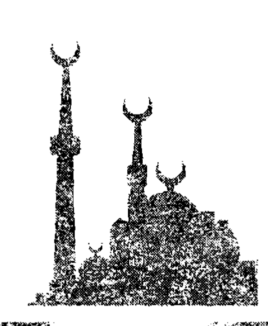
وانطلاقًا من هذه الحقائق العلمية الناصعة فى كل من كتاب الله (تعالى) وسنة رسوله ﷺ فإن علماء المسلمين كانوا على يقين منها فى الوقت الذى ظل فيه علماء الغرب يتخبطون فى ظلمة من الأساطير والخرافات على مدى عشرة قرون كاملة أو يزيد حتى

وصلوا إلى شىء من التصور البدائى لتلك الحقائق ، ولم يستكملوا رؤيتها إلا فى العقود المتأخرة من القرن العشرين .

فهذا ابن حجر العسقلانى (رحمه الله) يقول فى شرح الحديث الشريف الذى نحن بصدده ، وما يرتبط به من أحاديث فى نفس الباب ما نصه : «ويزعم كثير من أهل التشريح أن منى الرجل لا أثر له فى الولد إلا فى عقده ، وأنه إنما يتكون من دم الحيض ، وأحاديث الباب تبطل ذلك» .

ويؤكد هذا الكلام ابن القيم (يرحمه الله) بقوله فى كتابه المعنون «التبيان فى علوم القرآن» ما نصه : «ومنى الرجل وحده لا يتولد منه الولد ما لم يمازجه مادة أخرى من الأنثى » .

هذا السبق بعدد من الحقائق العلمية فى كل من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ لكل المعارف المكتسبة بعشرة قرون أو يزيد لا يمكن تفسيره إلا بكون القرآن الكريم كلام الله الخالق ، وكون هذا النبى الخاتم ، والرسول الخاتم موصولاً دائمًا ومؤيدًا بوحى السماء فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الحديث السابع والعشرون

«يطوى الله عز وجل السماوات يوم القيامة»

هذا الحديث النبوى الشريف رواه الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب صفة القيامة والجنة والنار) حيث قال :

● وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّه أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَة ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الملكُ أَيْنَ الجبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الملِكُ أَيْنَ الجبَّارُونَ ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ ؟» .

ـ ورواه أيضا أبو داود فى سننه (كتاب السنة) قائلا :

● حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ أَنَّ أَبَا أُسَامَةَ أَخْبَرَهُمْ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ قَالَ : قَالَ سَالِمٌ : أَخْبَرَنِي عَبْدُاللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «يَطْوِي الله السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الملِكُ أَيْنَ الجبَّارُونَ ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ ثُمَّ

يَأخُذُهُنَّ قَالَ ابْنُ الْعَلاءِ بِيَدِهِ الأخْرَى ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الملِكُ أَيْنَ الجبَّارُونَ ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ »؟

ـ ورواه ابن ماجة فى سننه (كتاب المقدمة) قائلا :

● حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالا حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : «يَأْخُذُ الجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدِهِ وَقَبَضَ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيَبْسُطُهَا ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الجَبَّارُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ؟» قَالَ : وَيَتَمَيَّلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنَ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي أَقُولُ : أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ

وهذا الحديث الشريف ينطلق من معنى الآية الكريمة : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ . (الزمر : ٦٧)

والحديث الشريف ينطلق أيضًا من معنى آية كريمة أخرى يقول فيها ربنا (تبارك وتعالى) : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

(الأنبياء : ١٠٤)

ومع تسليمنا بطلاقة القدرة الإلهية التى لا تحدها حدود، ولا يقف دون إرادتها حائل، ومع إيماننا بأن قضايا الخلق والإفناء وإعادة الخلق (البعث) من قضايا الغيب المطلق التى لا يمكن للإنسان أن يصل فيها إلى تصور صحيح بغير هداية ربانية، فإننا نقرر إمكانية الارتقاء بإحدى النظريات المطروحة لتفسير خلق الكون إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارة لها فى كتاب الله أو فى حديث صحيح مروى عن رسول الله ﷺ، ونكون بذلك قد انتصرنا بالقرآن أو بالسنة النبوية الشريفة للعلم، وليس العكس.

أما فى حالة الآخرة فإننا نؤمن بأن لها من القوانين والسنن ما يغاير سنن الدنيا، لأن سنن الدنيا تمشى ببطء حتى يتمكن الإنسان من إدراكها، والتعرف عليها، وتوظيفها فى عمارة الأرض، أما الآخرة فلا تأتى إلا بغتة كما جاء فى القرآن الكريم، ولكن من رحمة الله بنا أن يبقى لنا فى صخور الأرض وفى صفحة السماء من الشواهد الحسية ما يعيننا على فهم إمكانية وقوع أحداث الآخرة، ومن ذلك طى السماوات الذى أشار إليه حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده، والذى أشار إليه القرآن الكريم.

ففى مطلع القرن العشرين بدأ الفلكيون فى ملاحظة توسع الكون بمعنى تباعد المجرات عن بعضها البعض تباعدًا بسرعات تقترب أحيانًا من سرعة الضوء المقدرة بحوالى ثلاثمائة ألف كيلومتر فى الثانية. وأثارت الملاحظة جدلاً كبيرًا حتى تم التسليم

بها فى منتصف القرن العشرين ، ووصل العلماء من الرجوع بعملية اتساع الكون إلى الوراء مع الزمن إلى حتمية التقاء كل المادة ، والطاقة ، وكل المكان والزمان فى نقطة واحدة متناهية الضآلة فى الحجم ، ومتناهية الضخامة فى الكتلة وكم الطاقة ، وقالوا بحتمية انفجار تلك النقطة فى ظاهرة يسمونها عملية الانفجار العظيم نؤمن بها لورود إشارة لها فى قول الحق (تبارك وتعالى) :

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ .

(الأنبياء : ٣٠)

كذلك صار جدل طويل حول عملية توسع الكون هل هى عملية مستمرة إلى ما لا نهاية ، أم أن لها نهاية تتوقف عندها فتتغلب الجاذبية على مادة وطاقة الكون فتطوى السماء ، وتجمع كلاً من المادة والطاقة والمكان والزمان فى نقطة واحدة شبيهة بالنقطة الأولى التى بدأ بها الكون؟ ويسمى علماء الفلك هذه العملية باسم عملية الانسحاق الشديد وهنا أيضًا يتدخل القرآن الكريم ليحسم القضية إلى صالح نظرية الانسحاق الشديد للكون وذلك بقول الحق (تبارك وتعالى) :

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ . (الأنبياء : ١٠٤)

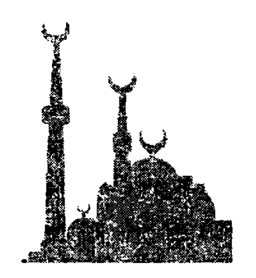
وهنا يأتى حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده ناطقًا

بطى السماوات يوم القيامة ، وهى حقيقة لا يستطيع العلم التجريبى أن يتجاوز فيها مرحلة التنظير فوضع نظرية الانسحاق الشديد ، وهى نظرية نرتقى بها نحن معشر المسلمين إلى مقام الحقيقة لوجود إشارة لها فى كتابه وفى سنة رسوله ﷺ .

ونظرية الانسحاق الشديد لم يتمكن الإنسان من بلورة تصور مبدئى لها إلا بعد منتصف القرن العشرين ، وهنا يبرز التساؤل : كيف يمكن لكتاب أنزل قبل ألف وأربعمائة سنة ، أن يتحدث عن طى السماء بهذه الدقة البالغة لو لم يكن المتحدث فيه هو الخالق (سبحانه وتعالى)؟ وكيف أمكن لنبى أمى فى قلب الجزيرة العربية من قبل ألف وأربعمائة من السنين (وقد كانت مجتمعًا بدائيًا ، جاهليًا ، لا صلة له بعلم ولا بقراءة أو كتابة) أن يتحدث عن طى السماوات لو لم يكن موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قِبل خالق السماوات والأرض؟

وهنا تتضح أهمية الإشارات الكونية فى كل من كتاب الله وسنة رسوله (عليه الصلاة والسلام) فى زمن التقدم العلمى والتقنى الذى نعيشه ، وهو زمن لم يعد يحرك مشاعر الناس فيه شىء كما تحركه الحقيقة العلمية ؛ وهذه الإشارات الكونية المنزلة من قبل ألف وأربعمائة سنة والتى لم يستطع الإنسان الوصول إلى تصور لها إلا منذ عشرات قليلة من السنين هى أيسر وسيلة فى الدعوة إلى دين الله الخاتم فى وقت تحول فيه العالم إلى قرية كبيرة تتلاقى فيها مختلف الحضارات ، والمعارف والمعتقدات ، وأصبح

لزامًا علينا أن نحسن التبليغ عن الله ورسوله بلغة العصر وأسلوبه لعل الله (تعالى) يفتح لنا الدنيا من أطرافها كما فتحها على أسلافنا ، وما ذلك على الله بعزيز وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .



الحديث الثامن والعشرون

«يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا».

هذا الحديث النبوى الشريف رواه الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب الفضائل) قائلا :

● حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنَا مَالِكٌ وَهُوَ ابْنُ أَنَسٍ عَنِ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَخْبَرَهُ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا أَخَّرَ الصَّلَاةَ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جميعًا ، ثم دخل ، ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعًا ، ثم قال : **«إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله تعالى عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يُضْحى النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئًا ، حتى آتى»** ، فجئناها ، وقد سبقنا إليها رجلان ، والعين مثل الشراك ، تبصر بشىء من ماء ، قال : فسألهما رسول الله ﷺ : **«هل مسستما من مائها شيئًا؟»** قالا : نعم ، فقال لهما النبى ﷺ ما شاء الله أن

يقول ؛ قال : ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً ، حتى اجتمع فى شىء ، قال : وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر (أى كثير الصب والدفع) ، أو قال غزير حتى استقى الناس ، ثم قال ﷺ : «**يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانًا**» .

وتصدق نبوءة المصطفى ﷺ بعد ألف وأربعمائة سنة ، فتتحول المنطقة حول تبوك إلى مزارع عامرة بأفضل المزروعات ، وأشهى الثمار والخضراوات ، وذلك لأن منطقة تبوك وما حولها تحوى أهم خزانات المياه تحت سطح الأرض فى الجزيرة العربية (متكون جبل الساق ، ومتكونات مجموعة تبوك الرملية) والتى تتميز بتركيبها من الحجر الرملى عالى المسامية والنفاذية ، وبمنكشف تزيد مساحته على عدة عشرات الآلاف من الكيلومترات المربعة إلى الغرب من تبوك تعمل كمصيدة هائلة لمياه الأمطار التى تتحرك من سطح الأرض إلى ما تحت سطحها بميل الطبقات إلى الشرق ، فتخزن تحت أرض تبوك كمخزون مائى متخم يمثل أكبر مخزون مائى فى أرض شبه الجزيرة العربية .

وهذا المخزون المائى الكبير قد تجمع خلال الفترات المطيرة من تاريخ شبه الجزيرة العربية ، وقد ثبت أنه خلال الخمسة والثلاثين ألف سنة الماضية مرت المنطقة بثمانى دورات من دورات الجفاف

التى تخللتها سبع دورات من المطر الغزير ، ونحن نحيا فى آخر دورة من دورات الجفاف تلك ، ويبلغ متوسط هطول المطر فيها فى السنة بحوالى التسعة سنتيمترات يصل نصفها إلى خزانات المياه تحت السطحية ، ويتبخر الباقى أو يفيض إلى البحر .

كذلك فى صخور «متكون تبوك» سُمْك هائل من صخور الصلصال والطفل التى تتبادل مع الطبقات الرملية ، وينتج عن تعرية هذه الطبقات المختلطة من الصخور الرملية والصلصالية والطفلية تربة من أجود أنواع الترب الصالحة للزراعة ، وبذلك تهيأت منطقة تبوك بكل مبررات تحولها إلى جنان كما تنبأ المصطفى ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة .

ليس هذا فقط ، بل إن الأرض تتحرك الآن نحو الدخول فى دورة جليدية جديدة ، وحينما يزحف الجليد من أحد قطبى الأرض ، أو منهما معًا فى اتجاه خط الاستواء تتصحر الأرض التى تكسى بالجليد تصحرًا جليديًا فتهلك النباتات ، وتهاجر الحيوانات ، ويرحل السكان ، وفى نفس الوقت يتحول الحزام الصحراوى الممتد من موريتانيا غربًا إلى أواسط آسيا شرقًا إلى منطقة مطر غزير كما حدث مرات من قبل ، وحينئذ تفيض الأودية الجافة أنهارًا ، وتكسى الصحارى القاحلة بالخضرة فتتحول مروجًا بهيجة تصديقًا لنبوءة المصطفى ﷺ التى قالها فى حديث صحيح يرويه عنه أبو هريرة (رضي الله عنه) حيث قال : سمعت رسول الله

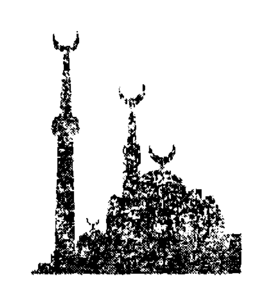
ﷺ يقول : «**لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا**» . وتأتى المعارف المكتسبة فى كل من مجالى علوم الأرض وعلوم المناخ لتؤكد على أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا ، وعلى أنها سوف تعود مروجًا وأنهارًا كما كانت ، ويأتى حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده يتحدث عن منطقة تبوك بصفة خاصة ، وعن أرض العرب بصفة عامة على أنها سوف تمتلئ جنانًا فى عصر يلى عصر النبوة الخاتمة فيقول ﷺ مخاطبًا راوى الحديث سيدنا معاذ بن جبل (رضى الله تبارك وتعالى عنه) : «**يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانًا**» .

وهنا يبرز السؤال المهم : مَنْ غير الله الخالق يمكن أن يكون قد أخبر هذا النبى الأمى من قبل ألف وأربعمائة سنة بتلك الحقائق العلمية التى لم يتوصل الإنسان إلى إدراك شىء منها إلا منذ عشرات قليلة من السنين؟

ومَنْ الذى كان يضطره إلى الخوض فى مثل هذه الأمور التى كانت غائبة عن الناس ـ كل الناس ـ فى زمانه ﷺ وللعديد من القرون المتطاولة من بعده ، لولا أن الله (تعالى) الذى ألهمه النطق بها يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سوف يصل فى يوم من الأيام إلى اكتشاف تلك الحقائق ، فتبقى هذه الومضات النورانية فى كتاب الله ، وفى سنة رسوله ﷺ شهادة حق على أن القرآن الكريم

هو كلام الله الخالق ، وعلى أن هذا النبى الخاتم كان موصولاً بالوحى ، ومعلمًا من قِبل خالق السماوات والأرض ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى وصف هذا النبى الخاتم ﷺ :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ . (النجم : ٣-٥)



الفهـرس